عمر فاخوري

الحقيقة اللبنانية

خواطر واحاديث

منشورات دار المكشوف

الحقيقة اللبنانيـــة

للمؤلف

الباب المرصود
الفصول الاربعة
لا هوادة
أديب في السوق
الاتحاد السوفياتي حجر الزاوية



آراء اناتول فرنس (عن الافرنسية)
آراء غربية في مسائل شرقية (عن الفرنسية)
مهاتما غاندي (عن رومن رولان)

عمر فاخوري

الحقيقة اللبنانية

خواطر واحاديث

منشورات دار المكشوف

طبع من هذا الكتاب الفان وخمسمائة نسخة على ورق
جيد ، وست نسخ على ورق فاخر
مرقمة من ١ الى ٦ خاصة بالمؤلف

•

الطبعة الاولى ، ١٩٤٤

•

.. أيحتاج لبنان — كما نعرفه قطعة من
جغرافيا ، وفلذة من تاريخ — الى
ان يتسلق ذروة من ذرى الزمن ،
والى ان يضرب في مسافات الأرض
والسماء ، فيجيل أنظاراً ثابتة أو
حائرة ، في ظلمة الماضي أو غيب
المستقبل ، في الآفاق القريبة أو
البعيدة .. تُرى ، أيحتاج لبنان إلى
ذلك النصب الشديد ، المقعد المقيم ،
كي ينتهي به الامر إلى القول في

سره أو على رؤوس الأشهاد : « أنا صغير ، جد صغير . . صغير جغرافياً ، وصغير تاريخياً » ؟ لعمري ان تلك الكلمة ليست مما يُقال قولاً ، بل مما يهتف به هتافاً . فلبنان منذ كان ، لم يقف على ساحل هذا الأبيض المتوسط ، بإزاء مدنياته القديمة والحديثة ، كما يقف الصياد الذي دهمته العتمة ولم يعطه البحر سمكةً واحدة . . لا ، لكنها قصة شعب من الشعوب ، ما كان صغر جغرافيته وتاريخه ليعوقه او يكفه أو يمنعه عن أن يعطي العالم ، في عصر من عصور تمدينه ، أداة

التخاطب المثلى ، واساليب العبادة الفضلى ، وطرائق للفكر والعمل قوية .. بل لعلَّ صغره في رقعة الارض وفي زحمة التاريخ ، كان حافزاً ذلك الشعب ، دافعاً اياه بعزم لا يُغلب ، إلى الاخذ بضرب من ضروب العظمة أو السمو أو التوسع ، يكفي به طموح ذاته ، ويسد عوزها .

وهكذا رأينا لبنان يتبسط سفناً ومدناً ، ويتسامى آلهة وهياكل ، ويتوسع بالحرف والفكر .. ومن غاباته المقدسة كان يشيد معابده الذاهبة صعداً ، ويبني مراكبه الذاهبة بعيداً ،

كأن له من ضيق مساحته ، وصغر
حجمه ، عند المسافة ثأراً ، فلن
يقرّ له قرار حتى يدرك ثأره —
مقرباً الابعاد ، جامعاً الاضداد ،
واصلاً قطيعة المادة والروح على سواء.
ليست الثقافة في بلد من البلدان ، ولا
رسالتها في شعب من الشعوب، مما
يرتجل ارتجالاً ، ولا مما يُسنّ في
ضجة المجالس والمجامع ، ولا مما تحدس
به مخيلة شاعر أو ينضح به ذهن
حكيم ، ثم يُفرض على الوجود
فرضاً . فالحياة نفسها (والتاريخ
الذي يحكي حكايتها) ليست
سوى حوار لا ينتهي ، بين الانسان

والطبعية . ويندر ان تكون الكلمة الاخيرة في ذلك الحوار ، لهذا الكائن من لحم ودم .. حوار لطيف تارة وتارة عنيف ، مضطرد أو منعكس ، في صراحة أو جمجمة .. كزقزقة العصفور وسقسقة الجدول ، كأصطفاق الموج وتقصف الرعد .. يهمس همس النسيم أو يدوي دويّ البركان .

لبنان ملقى السبل المتفرقة ، ومعترك الامم المتنافسة ، ومزدحم الثقافات المتقاطعة . ما من قوة في الارض تستطيع ان تغلق ساحله الغربي ، هذا الباب المفتوح على مصراعيه للابيض

المتوسط ، من مدنيات وشعوب ، يعطيها ويأخذ عنها ، ثم يُقذف به واحة غريقة في الصحراء . كذلك ما من قوة في الارض تستطيع ان تسلخه عن هذا الشرق السامي الذي وصلته به ، منذ كان التاريخ بل قبل ان يكون ، وشائج دم ولغة ، وتقاليد واساطير ، وعبادات وثقافات ، ثم يُقذف به جزيرة عائمة في الاوقيانوس . سيظل لبنان حيث هو وحيث كان ، من الطبيعة ومن التاريخ ، همزة وصل بين الشرق والغرب اللذين يلتقيان فيه . واذا صح ان ثمة مستقبلاً ، قريباً أو

بعيداً ، ليس يعرف الأثرة القومية
وما يلازمها من مظاهر الطمع
والفتح والغلبة ، ولا التحريم الفكري
وما ينشأ عنه من تعصب على
اختلاف أنواعه ، فقد كانت إذاً
ثقافة لبنان هي المثلى ، ورسالته
في الدنيا هي الفضلى : ثقافة
تمازج ، ورسالة تواصل .

ولعل اكرم ما يصدره لبنان من بضاعة ،
ابناؤه في النواحي الاربع من الارض ،
بناة المدن والسفن ، المخاطرون غير
مغامرين ، المثقفون طبعاً وتطبعاً ،
المحافظون في غير ترمت ، المجددون
من غير تعسف ، ناشرو الابجدية

قديماً وحضنة العربية حديثاً ، ابناؤه السمر الميامين ، حملة رسالته الثقافية في العالم .. (شباط ١٩٦٢)

*

ليس سوء الظن دائماً من حسن الفطن ، رغم قول الشاعر . ولا سيما إذا كان الرجل من الرجال أو الفئة من الفئات ، يتخذون من سوء ظنهم ، مذهباً لا محيد عنه ، أو طريقة لا مخرج منها ، في حال من الأحوال . فهو حينئذ أقرب إلى أن يكون من باب سوء النية . وبالفعل ، لا مندوحة عن افتراض

سوء النية في كل سوء ظن « منظَّم »
كما انه لا مندوحة عن الاعتقاد
بأن المقصود به ليس إظهار الحقيقة
أو جلاءها ، بل بالضدّ ، طمسها
او تعميتها .

من الطبيعي ومن المعقول أن يحاسب امرؤ
على ما يقوله أو يعمله . أما أن يُنحل
المرء رأياً لم يقل به ، أو عملاً لم يبدر
منه ، فليس من الطبيعي ولا من
المعقول . على أن هذا لا يقع ،
لحسن الحظ ، إلا في النادر القليل ، أو
في نوبات متقطعة ، لسبب بسيط هو
أنه غير طبيعي وغير معقول ، في
وقت معاً . لكن الأمر الشائع فينا ،

المتداول بيننا ، حتى ليكاد يُعدّ « ظاهرة » في حياتنا الاجتماعية ، هو أن نحاسب المرء أو الجماعة على ما نخشى — وأحياناً على ما نودّ — أن يضمروه ، ولو جاهروا بعكسه. نقول ذلك لمناسبة ما يتأوله بعضهم ، كلما سمع أو قرأ هذه الصفة « لبناني » تضاف إلى « الثقافة » أو إلى « التاريخ » أو إلى « الحقيقة » أو ما بمعناها ، زعماً منه ان في هذه الإضافة « الطبيعية » في نظرنا ، إنكاراً أو محاولة إنكار لشأن الثقافة العربية والتاريخ العربي في ثقافتنا وتاريخنا ، أو للحقيقة العربية بنوع

عام .. لا ، فليس يخطر لأحد ببال ، هنا أو هنالك ، أن ينكر الصلات الوثيقة التي تربط هذا البلد اللبناني بسائر الأقطار العربية : صلات مادِّية وروحية ، صلات في الماضي وفي الحاضر . وليس يخطر لأحد ببال ، هنا أو هنالك ، إلا تحبيذ كل مسعى يهدف إلى توثيق هذه الصلات ودعمها في المستقبل . وليس يخطر لأحد ببال ، هنا أو هنالك ، إلا الاستمرار ، فكراً وعملاً ، على تغذية اليقظة الوطنية والاتحاد الوطني اللذين قطع الشعب

اللبناني دليلاً ، بل أكثر من دليل ، على اتصافه بهما . قد تتعدد آراء اللبنانيين في بعض المسائل ، كنوع العلاقات بين لبنان في جانب ، وبين الأقطار العربية الشقيقة أو غيرها من الدول في الجانب الآخر . لكن ثمة أمراً يجمع عليه كل الوطنيين — وهم ولله الحمد الكثرة الغالبة — هو المحافظة على كيان هذا الوطن اللبناني ، واستكمال عناصر استقلاله . وذلك أولاً : بتوثيق روابط الاخاء بين أبنائه وطوائفه جميعاً ، وثانياً : بإنشاء الصلات الخارجية التي تدعم الاستقلال ، وتضمن مصالح الشعب .

فأما ونحن جميعاً ضمن هذه الدائرة ، فلم يبقَ من موضع أو من مبرر لسوء الظن أو للحذر — الطبيعي والمصطنع على السواء — لا من هنا ولا من هنالك . ان الطمأنينة والثقة المتبادلة لمن الأشياء المستحبة التي آن لنفوسنا ان تعرفها ، وتألفها . (شباط ١٩٤٤)



زعموا ان الحقيقة مرّة المذاق .. ان الحقيقة ليست مرّة وليست حلوة . ان لها طعماً خاصاً هو طعم الحقيقة . (بلا تاريخ)

اقسم اني هذه المرة عييت . اعياني سائل من الفضوليين أو غير الفضوليين ، يسألني : « علامَ نحتفل لانتصار الحلفاء في افريقيا ؟ » لم أعيَ من السؤال ، بل من وجود السائل . . كنت فيما مضى ، أتحاشى السائلين ، فراراً من القيل والقال . فاذا بالسائلين ، منذ زمن ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرّت من قسورة . لعلهم هذه المرة توقعوا سلفاً ، من البداية ، جوابنا الصارخ ، بل الصاعق : « العمى ! . إذا لم نحتفل لهذا الحادث العظيم ، عصبة مكافحة النازية والفاشية ، فمن يحتفل له ؟ وإذا لم نحتفل الآن – وعندنا أسباب أخر – فمتى نحتفل ؟ » ذلك ان المحور قد أضاع نهائياً ، وفي وقت معاً ، قارة

هي افريقيا ، وبحراً هـو المتوسط . وأضاع جيشاً جراراً وعتاده الضخم . وأضاع وقتاً ثميناً « سحبه » على المستقبل لاطالة أجـله القريب .. وعمّا قليل ، تنتصب الأمم المتحدة على عتبة ذلك الصرح الممرّد الذي أسماه هتلر : حصن أوربا الحصين (ونسميه نحن : سجنهـا المطبق) فتهوي على بابه الخوف ، بقبضات من حديد ونار ، ثم تنقض بنيانه ، وتدكّ جـدرانه . عمّا قليل تتنفس الصعداء ، وتتقطـع السلاسل ، شعوب طعينة سجينة ، شريدة شهيدة ، وقد اخذ بعنق النـازية من الشرق والغرب ، فكّا الكلّابة التي لا تُدفع ، فيلفظ الوحش نفسه الاخير .

وقفت عشية يوم ، بباب فاكهاني . وكان قد سبقني إليه بعض الزبائن ، يطلب كيلو أو كيلوين من العنب . فوضع البائع عنبه في كيس من ورق .

وجعل الكيس (طبعاً) في إحدى كفتيْ الميزان . وكان يزيد في الكيس ، خصلة بعد خصلة ، ليتم الوزن . لكن يظهر أن الكفة لم تكن عند رغبة الفاكهاني ، أو وِفق هواه .. لم تهبط بما يرجو من السهولة . فأراد أن ينتقم من عناد الميزان ، فتناول خصلة صغيرة يصح أن نسميها « الضربة القاضية » لأنها رجحت الكفّة عنوة ، بفضل قبضة يد البائع العنيف ، في عتمة القنديل الأزرق . وبأسرع من لمح البصر ، قبل ان « يرتاح » الميزان ، ينتزع الفاكهاني الكيس بمهارة بهلوانية ، ويقول للزبون بلطف نادر المثال : « تفضّل ! » لقد أعطاه بعض حقه .. وزيادة : أعطاه ثقل يده الغاشمة .. فهل رأيتم أرأف من هذا التاجر بميزانه ؟ انه يساعده بكل ما فيه من قوّة ، وما عنده من حيلة .. ثم

ابتدرني الفاكهاني بالسؤال قائلاً : « أمر ؟ » اجبت : «لا شيء .. كنت أفكر في هتلر ذلك اللعين ونظامه الجديد ، وكيف انه وقع أخيراً على من يكيل له الصاع صاعين ، ويبادله الضربة ضربتين ..» فقاطعني الفاكهاني قائلاً : « هكذا تقول الجريدة ! » وانصرف إلى « خدمة » زبون آخر لا يشتغل مثلي في السياسة ..

إذا كان هتلر قد أضاع قارة وبحراً ، وجيشاً وعتاده الضخم ، ووقتاً ثميناً من المستقبل كان يرجو ان يطيل به أجل النازية ونظامها الجديد ، فماذا أفدنا نحن ؟ ماذا جنينا من ثمار النصر العظيم الذي أحرزه الحلفاء في افريقيا ؟

لقد افدنا ، مباشرة ، إبعاد شبح الحرب الذي طالما جاس خلال ديارنا ، وافدنا بصورة عامة ، اقتراب

ساعة النصر الحاسم المبين الذي طالما بشرنا به ، نعني : فوز قضيـة الحرية في العالم . وبديهي ان عصبـة مكافحة النازية والفاشية لم تجتمع ، ولم تنشط ، ولم تجاهد للدفاع عن قضية عالمية ، إلا لأن هذه القضية العالمية هي في الوقت نفسه ، قضيتنا ، قضية بلادنا ، وبالدرجة الأولى .. لقد افدنا تصريحاً باستقلالنـا الوطني ، وتمكيناً من ممارسة الحياة الدستورية — المرحلة الأولى ، أو قبل الأخيرة ، نحو الاستقلال المنشود . وهكذا ترون ان الثمار التي جنيناها ، أو سنجنيها من انتصار الأمم المتّحدة ، في ميـادين القتال : الجيش الأحمر العظيم في الشرق ، والجيوش البريطانية والاميركية والفرنسية في افريقيا ، وعما قليل في الغرب الاوربي — ان هذه الثمار لا تشبه في شيء ، عنب صاحبنا الفاكهاني الذي يطبّق النازية

في دكانه ، كلما سوّل له الهوى ان يساعد الميزان ، بقبضة يده اللبقة الغاشمة . واني لأتساءل الآن : ما الذي كان يصل إلينا من حقنا في الحياة الحرّة الرغدة الآمنة ، لو وزن ذلك الحق في ميزان النازية التي لا تخلو كفتها ، الراجحة أبداً ، من عصا مارشال ، وتدجيل داعية ، وافضلية العرق الجرماني ؟ ذاك ميزان ، لو وضع العالم كله في كفّته الثانية ، لما رجحت : الميزان الذي لا يعتدل..

أعجبتني كلمة للكاتبة الاميركية بيرل باك.. كتبت أخيراً تقول : « ان أهل الفيلبين ، يوم قاتلوا إلى جانبنا ، لم يحاربوا الاستعباد الياباني دفاعاً عن استعبادنا لهم ، أو عن عبوديتهم لنا ، بل لأنهم شعروا بأن حقهم في الحرية والكرامة يحترم عندنا. » ولعمري متى يفقد امرؤ أو شعب ، هذا الشعور بأن

حقه في الحرية والكرامة محترم ، ومحترم إلى حد التقديس ، فأي معنى يبقى لحياته ؟ وأي ثمن لا يؤديه ، لفرض هذا الحق في الحرية والكرامة ، بوجه العالم قاطبة ؟ ولعمري ان الفرق لواضح بين من يدافع عن شيء هو له ، وبين من يدافع عنه وللآخرين فيه شركة ، حظه منها القسمة الضيزى .. لقد أتى هتلر على حريات الشعوب الاوربية ، وانتهك أقدس كراماتها ، ثم سمى سجنه المخوف حصناً حصيناً . فواعجبا لذلك الحصن ، ليس الخصوم الذين يهاجمونه من خارج ، أقل عدداً وعداء من الخصوم الذين يناوئونه داخل السور ! . لو كانت القارة الاوربية ، في ظل النظام النازي ، ذلك الحصن الحصين الذي تتوافر الهمم ، وتتضافر الجهود ، على حمايته والدفاع عنه ، لكان من العسير اخذه . لكن القارة

الاوربية اليوم سجن مخوف ، لشعوب مستعبدة تحتدم بالثورة ، ولن تلبث حتى تنفجر كالبركان . كذلك كانت روسيا القيصرية ، فبادت ، كما سيقضى على النظام الهتلري . ان حق الشعوب في الحرية والكرامة لا يمكن ان يبقى منتهكاً ، أو سليباً ، أو مسكوتاً عنه ، إلا إلى حين . وفي هذا السياق من المعاني يصح القول ان لبنان المستقل المتمرس بالحياة الدستورية ، لن يكون همه الأول سوى التضامن مع الأمم المتحدة ، ومساعدتهم وسع الطاقة ، في مجهودهم الحربي ، للقضاء على النازية أصلاً وفروعاً .

لم يكن من الحسن ، ولا الرشد في شيء ، ان تفاجئنا السلم ، وليس في الأرض اللبنانية المستقلة ، حكومة دستورية ديمقراطية يختارها الشعب اللبناني

من أبنـائه البررة العاملين الصادقين ، لتصريف شؤونه ، ولا سيما لتمثيله بين الأمم . لهذا يُدعى اللبنانيون إلى انتخاب نوابهم ، ولهذا يجب أن يُحسنوا الاختيار .. هـذه المرّة ولا أيّة مرّة ! هو شرط بديهي ، لكـنه أساسي .. أساسي كالحياة .

فلينظر اللبنانيون ، ثم لينظروا ، بأي وجـه يهمهم أن يطلع وطنهم على الدنيا ، من ظلمة هذه الحرب . ان اللبنانيين أنفسهم هم الذين يُصورون ذلك الوجه ، ويرسمون ملامحه وشياته ، ويؤلفون محاسنه ومفاتنـه . وأكبر الظن أنهم لن يريدوا ، منذ اليوم ، وجهاً من الوجوه الزائفة والمستعارة . فهذه الوجوه لا موضع لها ، إذا جدّ الجدّ في حيـاة الأمم . إنمـا تصلح الوجوه الزائفة أو المستعارة ، للمساخر .

نريد وطناً ، لا طيف وطن . نريد وطنـاً من لحم ودم . نريد وطناً يحب ذاته ويحترمه الآخرون : يعرف كيف يحب ذاته ، وكيف يفرض احترامـه على الآخرين .

في صيف ١٩٤٠ كنت — كل أسبوع ، مرة أو مرتين — أستقبل في منزلي ، سرًا كأننا على موعد لقاء ، جريدة لا توحي بشيء من صفات الجرائد الضخمة الرنانة التي يُلوّح بها ، وينادى عليها في السوق ، بأصوات تصم الآذان ، وتطاير من كل مكان .

كانت هذه الجريدة عجيبة حقاً : غير مرتبة ولا مبوبة ولا مزينة باسم مخلوق من هؤلاء الذين يُدعون بالمحررين ، أو المديرين ، أو المالكين . ولأمر ما كانت أيضاً خلواً من عنوان المطبعة التي تخرجها (أو ترفها) فهي تطبع على الجلاتين . صحيفة ساذجة ، بسيطة الزي والشكل ، متواضعة ،

محتشمة ، كحسناء فقيرة لكن تحترم ذاتها .. صحيفة « شاذّة » وكفى !

ما كان أعجلني عهدذاك إلى قراءة الصحيفة الحرام ، تأتيني أعدادها كالمواد الخطرة المهرّبة ، وإلى قراءتها من الألف حتى الياء !. كان يجيئني بها فتى ولا كالفتيان : ليس تفارق الابتسامة ثغره ، والعزيمة الصادقة نظره . يناولني « بضاعته » من كوّة الباب ، ثم ينصرف معجلاً ، ولم يكد يحييني أو يسمع مني كلمة الشكر . لكن بعد ان « تعاملنا » مدّة من الزمن ، وأنس كلٌّ بصاحبه ، صرت أدعوه إلى فنجان قهوة ، فيقبل الدعوة ، فنجلس ساعة ، أو بعض ساعة ، نتجاذب أطراف الحديث . فكان يخيل إليّ دائماً ان الفتى ليس سوى « عدد

ممتاز » من الجريدة التي ينشرها ، بل « يُبَشِّرُ » بها . كأنما الصحيفة تحيا فيه لحماً ودماً ، فكراً وشعوراً ، حميّة وإقداماً ، ثقةً وأملًا في المستقبل ، كما يريده وسيكون .

لقد كنت أجهل اسم ذلك الصديق الجديد — الجديد بكل معاني الجدة — كنوع مستحدث من الآدميين . فكنت ، ولا أدري لماذا ، أدعوه بيني وبين نفسي : « بشارة . . » اليوم يقولون لي بلطف : « أجل ، هو أدوار . . » وأنا أحتجّ بشدّة : « كلا ، هو بشارة ! » وليس في هذا خسارة . .

لو سألتموني عمّا كنت أجد في تلك الصحيفة المتواضعة برغمها ، والتي كانت تُحمل إليّ كرسالة خاصة ، مرّة أو مرّتين كل أسبوع ، لاختلطت في ذهني صُوَر وأفكار وخواطر شتّى ، فلا أعرف كيف

أبتدي ولا كيف أنتهي . حتى الحوادث (أو الأخبار) كان لها في تلك الصحيفة معنى جديد ، وصدى غريب ، كأنما يُنظر إليها من زاوية غير مألوفة أو مبتذلة ، لكنها الزاوية « المستقيمة » الصحيحة ، منها يُسعى في السبيل الأقوم ، إلى الغاية الأسمى . تلك الصحيفة هي آخر مدرسة تعلّمت فيها سداد الفكر وصدق العمل ، سواء أفي إعلانها على النازي حرباً لا هوادة فيها ، يوم كان النازي كل شيء ، أم في صمودها للدفاع عن خبز الشعب وحريته وسلامته .. وكانت تقول في كل مناسبة ، ما لا بدّ من قوله ، ما يجب أن يُقال ، ببساطة لا بساطة وراءها . أعني أنها لم تكن بحاجة إلى تضخيم صوتها ، إذ لا صوت يعلو على صوتها .. هو « صوت الشعب » .

في ذلك الزمن ـ يُذكر ولا يُعاد ! ـ كان خالد بكداش وفرج الله الحلو ونقولا شاوي وبعض الرفاق ، يُضطهدون في السجن ، أو يُطاردون فيما هو أضيق من السجن .. لكن صوتهم لم يُحبَس ، وجهادهم لم يُكبَح ، ونورهم لم يُطفأ . كانت أصداء من الصوت المدوي ، ومـآثر من الجهاد الدامي ، وأشعَة من الضياء المحيي ، تمـلأ بيتي ، وتشغف نفسي ، وتُنير بصيرتي .. وبيوت كثيرين ، ونفوس كثيرين ، وبصائر كثيرين .

في ذلك العهد : عهد فيشي ، واللجنة الخبيثة ، والتربص الأخبث ، والجيش الالماني الذي لا يُغلب ، إلى آخر الخرافـة .. لم أكن أعرف خالد بكداش وفرج الله الحلو ونقولا شاوي ، أو واحـداً من رفاقهم الميـامين .. كان ينبغي ، كي أعرفهم ، أن

أمسي سجيناً متطوعاً ، أو طريـداً مختاراً ، وليس هذا بالامر السهل ، نظرياً أو منطقياً على الاقل .

ثم جاء غير ذلك الزمن .. جاء عهـد أحسن حالاً : عهد ما يزال في تحسن مطـرد ، كالمريض الذي يتماثل إلى العافيـة .. وكان من ايادي هذا العهد عندي أني ـ أخيراً ! ـ عرفت خالد بكداش الخطيب الذي يحلق كالنسر ، والقائد الذي يحارب في أكـثر من جبهة ، لانها ، حيثما كانت ، جبهة الحرية . يحلق كالنسر في آفاق الفكر والبيـان ، وكالنسر لا تفلت من بصره الحديد ، تفاصيـل الامور او جزئياتهـا ، مهما دقت عن النظر ، أو صغرت على البعد .. وعرفت فرج الله الحلو المجاهد الامين ، كل عمل يأتيـه خطبة بليغة ، وكل خطبة يلقيها عمـل رائع .. وعرفت نقولا شاوي ..

ماذا أقول لكم ، وهو هنا ، قد رأيتموه وسمعتموه ؟ لكن تعالوا اهمس في آذانكم ، من خلال هذا المذياع ، بانكم لن تجدوا خيراً منه نائباً يمثلكم : يفهمكم فهماً صحيحاً ، ويحس معكم إحساساً صادقاً . فلهذا ، ولهذا فقط ، كان نقولا شاوي في السجن . علامَ إذاً لا يكون في مجلس النوّاب ، لهذا ولأسباب أخر ؟

وهكذا عرفت خالد بكداش وفرج الله الحلو ونقولا شاوي ، ورفاقهم الكثيرين اليوم ، الأكثرين غداً ، الذين يعملون كالنمل ، ويجنون كالنحل ، ويمشون كالجنود الأبطال ، وفي سبيل أمتهم وحقها في الحياة الحرّة الرغدة الآمنة ، ما يعملون وما يجنون .. جزاهم الله عنّا كل خير ! لقد علّمونا بالكلمة والمثل ، ان المولهين بحب الحرية لا يرجعون

ــ برغمهم ــ خطوة إلى وراء ، إلا ليقفزوا خطوتين إلى أمام ، ودلونا على الطريق .

في هـذه « المزرعة » المخصاب ، شجرة شابة عجوز تعهدها من زمن بعيد ، هذا الحي الكريم ، بالسقيا والعطف والعنـاية ، فصارت راسخة أصولاً ، منبسطة فروعاً ، وارفة ظلالاً ، دانياً قطوفهـا .. شجرة تستمد من المـاضي الأصيل قوّة ، لتمتد غصونها نحو المستقبل الوضّاح تحيّـة : هي شجرة الاخاء في الوطن الواحد ، وفي العقيدة الواحدة .. وكأنما الشجرة هنـا ، كي يأوي إلى فيئها ، ويجني من ثمرهـا ، العهد المقبل الذي طـالما تاقت إليه نفوسنا ، واستهدفته جهودنا .

هنيئاً للمزرعة وبنيها ، وللبنان واهله ، الشجرة المباركة التي رسا أصلها ، وفرعها في السماء .

لو كنت أخوض المعركة الانتخابيَّة ، ولا همّ لي إلا أن أصل إلى المجلس النيابي ، فأستلم الكرسي بشوق ولهفة ، وأرتاح نائماً على الثقة ، ثم أغطُّ في النوم مع زملائي الكرام ، لقلت لكم منذ الآن : « شكراً ، شكراً ! ان عطفكم وتأييدكم ومناصرتكم تكفيني ، بل هي فوق الكفاية . » عبـارة من عبارات اللياقة والامتنان وعرفان الجميل .. لكن لا ، لن أقولها . وليؤذن لي أن لا أشكركم !

أنتم تعلمون — وأنا أيضاً أعلم ، وإلا كنت متهماً في فهمي — ان هذه المظاهر الصغرى اللطيفة ، والكبرى الرائعة ، تتجاوز كل الأشخاص ولا سيما شخصي ، إلى المبادىء والقيم التي كنا ، ولا نزال ،

نناضل من أجلها ، في مختلف الميادين .. أنا أعرف ما ينتظرني. تريدون أن نحمل هذا النضال إلى ميدان جديد هو البرلمان اللبناني الذي كان ، والحقّ يُقال ، تخيّم عليه ، في الأغلب ، سكينة مشبوهة ، فلا يرتفع بعض الضجّة إلا حينما يُؤمرون بالانصراف ، كالتلاميذ الخارجين من الصَّف ، ثم يتفرّقون .. يتفرّقون متواعدين إلى المجلس المقبل . وبالفعل ليس يتخلّف منهم أحد إلا لموانع قاهرة ، كأن يأتيهم هادم اللذّات ، ومفرّق الجماعات ، وسُبحان الحيّ الذي لا يموت ..

سيكون لكم ، أيها الإخوان ، ما أردتم . هذا النضال لأجل المبادئ التي تجعل للحياة قيمة ، بل التي لا قيمة للحياة بدونها ، سنحمله إلى مجلسكم النيابي . لقد أثبتت هذه الحرب ان النصر يكون

حيث تكون المؤخرة والجبهة معسكراً واحداً ، يُناضل في معركة واحدة ، ويرمي إلى هدف واحد.

وقد آن لنا أن نجعل من الشعب اللبناني ومن مجلسه النيابي ، معسكراً واحداً يُناضل في معركة واحدة ، ويرمي إلى هدف واحد . أما ان يظل الشعب اللبناني في جهة ، بآلامه وآماله ، ومشاغله ومطامحه ، ومجلسه النيابي في جهة ثانية ، ينعقد كمجالس الادارة لشركات المساهمة ، فذلك ما لن يكون ..

أيها الإخوان ! ان البرنامج الذي أتقدّم به إلى جمهرة الناخبين بسيط جداً ، واضح جداً ، متواضع جداً . انه يتألف من أحد عشر بنداً ، قد لا تخرج في محتواها ، إلا بعض الشيء ، عمّا تُلوّح به أكثر البرامج الانتخابية . انه يعِدُ بتوطيد الاستقلال الصحيح ، وبتأمين الحريات الديمقراطية على أنواعها ،

وبتوثيق روابط الاخاء بين جميع المواطنين على اختلاف طوائفهم وأديانهم ، والروابط الاقتصادية والثقافية بين لُبنان وسائر الأقطار العربية ، وبتشجيع الاقتصاد الوطني وحمايته في مختلف فروعه من تجارة وزراعة وصناعة ، وبإصلاح التنظيم المالي ، وبسن تشريع للعمل مستمدّ من روح العدل الاجتماعي والتضامن القوميّ ، ثم يستمرّ إلى آخر حلقات السلسلة . هو ككل برنامج محترم يعِد كثيراً ، أعني : يأتي البيوت من أبوابها . انه البرنامج الذي لم يتغير ولم يتبدل منذ عشرات السنين ، منذ وُجد الدستور اللبناني ، لسبب واحد هو انه لم يُنفَّذ . . يظهر ، أيها الاخوان ، ان البرامج كانت دائماً أفضل من النواب الذين يحملونها ، فأرجو أن توفقوا هذه المرة ، إلى نواب يكونون أفضل من البرامج التي

تحملهم .. نواب يكون برنامجهم الانتخابي برنامج حياتهم .. نواب يقولون ، ساعة تقرير المصير ، كلمة الشعب اللبناني الطامح إلى الحرية والاستقلال والسعادة : لا يهمسون بها همساً ، بل يهتفون بها هتافاً .

ان البرنامج الذي أتقدّم به إليكم ، يتألف من أحد عشر بنداً ، كلها عزيز عليَّ ، حبيب إلى نفسي ، كالأولاد ليس يُؤثر الأب أحدهم على الآخر ، بعطفه وإشفاقه وعنايته . لكن لا أجد بُدًّا من الاعتراف بأن لي نظرة خاصة إلى البند الرابع من بنوده : « توثيق روابط الاخاء بين جميع المواطنين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأجناسهم ، بروح العدل والمساواة والتضامن القومي . » فكثيراً ما ارجع إلى هذا البند ، حتى ليسبق نظري إليه دون

غيره . ان آفة لبنان هو الاستغلال بانواعه ، وشر هذه الأنواع ايقاع التفرقة ــ ثم استغلالها ــ بين أبنائه الذين أجمعوا على إرادة واحدة ، هي إرادة العيش في ظلال هذا الوطن ، بحرّية وعدل وتضامن . لقد عزّز هذا اليقين في نفوسنا ، الاجتماعات الكثيرة التي عقدناها ، والتي كانت تضم الوطنيين الصادقين الواعين ، من كل مذهبٍ ودين .

ان العالم مشغول بحلّ مشاكله العُظمى ، ونحن ما زلنا منهمكين في حلّ مشكلة ابتدائية حيوية .. كدتُ أقول : حيوانية . ليس بكافٍ ، كلما رأينا البيت يحترق ، ان نهبّ جميعاً لاخماد النار . يجب ان نمنع أسباب الحريق ، وأن نُبعد عن البيت المحرّقين . لنقل بصراحة : لا يمكن ان يكون لبنان وطناً مسيحياً ، ولا وطناً إسلامياً .. لا يمكن ان يكون

وطناً لأي دين من الأديان ، أو مذهب من المذاهب .. لا يصح ان يكون لُبنان إلا وطناً لجميع اللبنانيين على السواء .

ان وَعد الحرّ دَين ، ان وَعد الأحرار دَين .

في العام الماضي ، احتفلنا أكثر من مرّة ، وفي أكثر من بلد ، لانتصار الحلفاء في افريقيا ، ذلك الانتصار الذي انتهى بتطهير القارة السمراء من رجس المحور . وقد تخيلنا عامئذٍ لضرورة الموقف ، سائلًا يسألنا ، وهو ضائق ذرعاً باحتفالنا المستمر الملحاح ، سائلًا يسأل : أما لهذا الاحتفال حدّ ؟ . كما يتساءل المغنّي الذي يُردِّد ، من أول الليل حتى ساعة مُتأخِرة منه ، الدورَ المشهور : « أما لهذا الليل آخر ؟ » والحقّ ان ذلك السائل لم يكن واحداً ، كما انه ليس خيالياً بهذا المقدار . لذلك أجبناهم على سؤالهم قائلين : سنظل نحتفل للنصر الافريقي ونحتفل ، حتى يرزق

الحلفاء نصراً جديداً ، أو تُفتح الجبهة الثانية مثلاً .
حينئذٍ ، وحينئذٍ فقط ، نكف عن الاحتفال لذلك
النصر ، كي نفرغ للاحتفال للنصر الجديد ، أو لفتح
الجبهة الثانية ..

ان وعد الحرّ دَين . وها نحن اولاء ، ننجز الآن
وعدنا ، نفي دَيننا ، فنُعلن على رؤوس الأشهاد ،
اننا عدلنا عن الاحتفال لذلك النصر الأفريقي ،
فهو تاريخ قديم ، كي ننصرف بكليتنا إلى الاحتفال
لهذا النصر الجديد ، الذي يحرزه الجيش الأحمر في
الشرق ، والجيوش الحليفة في الغرب ، والذي سينتهي
عما قليل ، بتطهير الأراضي السوفياتية ، والأرض
الفرنسية ، واوروبا بأسرها ، من آفة النازية ، وكل
آتٍ قريب .

يقولون ان النازية لم يبقَ عندها شكٌّ في

فشلها المتحتم ، لكنها تودّ ان تكسب ما أمكن من الوقت .. نحن إذن متفقون : ان الاندحار متحتم ، لكن المسألة مسألة وقت .. سوى ان الوقت كان يمشي في ركاب الامم المتحدة ، كان في خدمتها : بالأمس كان هتلر يمني نفسه بالنصر الصاعق ، وها هو اليوم يعزّي نفسه بالانهزام البطيء ..

(لا يجوز الحكم على هذه الحرب بما يحدث من تطورات بين عشية وضحاها ، إذ لا يمكن ان يكون للانتصارات أو للهزائم الموقتة أهمية حاسمة ، بالنسبة إلى حرب لها هذا المجال العالمي و « التاريخي » الواسع ..)

يخيل إلينا ، أول وهلة ، ان هذه الكلمة قيلت منذ ثلاث أو أربع سنوات ، وان الذي قالها هو

أحد قادة الامم المتحدة التي لم تكن على تمام الأهبة المادية والمعنوية ، أو التي أُخذت على حين غرة .
لكن لا ، ان هتلر هو الذي قالها منذ بضعة أيام :
لهذه الحرب مجال عالمي وتاريخي واسع .. ليؤذن لي هذه المرّة ، ان لا ارسل نفسي على سجيتها ،
فأتمثل هتلر ، وقد فُتحت عليه الجبهة الثانية في الغرب ، يتعزّى أو يتسلّى بفتح جبهته الثانية في ..
التاريخ . كلا ، ان لكلمته معنى آخر هو جدير بالروية ، الروية التي كنا ولم نزل ندعو اليها بني قومنا . ان ما يعنيه هتلر هنا يهمنا بالدرجة الاولى ،
ولا يصحّ ان نغفل عنه طرفة عين .

وماذا يعني هتلر بقوله ذاك ؟

يريد ان يقول انه قد غلب هو ، لكن النازية لم تُغلَب نهائياً ، وان الماكنة الحربية الضخمة التي

أعدّها لنصرة النازية قد تُحطم ، لكن النازية لا تُحطم الى الأبد ، وان المانيا معقل النازية في هذا الزمن ، قد تضطر الى طرح سلاحها ، الى التسليم ، لكن النازية لا تطرح سلاحها ، ولا تسلّم ‥ يريد هتلر ، بعبارة واحدة ، ان يقول : ان النازية التي فشلت في هذه الحرب ، في مجالها العالمي ، لم تفشل بعد في هذه الحرب ، في مجالها التاريخي . فليس بكافٍ ان يُغلب هتلر ، وان تحطم ماكنته الحربية ، وان ترمي المانيا سلاحها ، كي نطمئن الى ان النازية قد لفظت انفاسها الأخيرة ، وانه لن يُبعث من في القبور . ان هتلر الذي انهزم في ميدان العالم ، يضرب لنا موعداً في مجال التاريخ .

كل ذلك عرفناه ، ولم نكن بحاجة الى ان يذكرنا به مذكرٍ . سنكون دائماً في الموعد ، مهما

يكن الاسم الذي تتسمى به النازية ، والقناع الذي تتقنّع به النازية . سنكون دائماً في الموعد ، وفي المعسكر نفسه ، معسكر الحرية والتقدم ، معسكر النصر .

كل هذا عرفناه . ولم نكن بحاجة الى من يذكرنا به ، حتى ولا هؤلاء المتسمّين بالقوميين ، الفهاررة الأقزام ، الذين يطمعون هم أيضاً بأن يشدوا العجلة الى وراء ، بأن يرجعوا بنا القهقرى ، فاذا غاية جهدهم انهم يمثلون في بلادنا ، بعد فاجعة النازية في العالم وفي التاريخ ، ذلك الفصل الهزلي الذي يظهر انه لا بُدَّ منه . لكن حبّذا لو كانوا يختارون لهذه المهزلة ، مسرحاً غير لبنان ! . سنحملهم على ان يختاروا لها مسرحاً غير لبنان !

منذ اجتمعنا ، آخر مرة ، في هذا المكان ، وكان ذلك لمناسبة أول نوّار على ما اذكر ، حدثت في البلد أحداث وأحاديث .. ماذا أقص عليكم مما حدث ، وهي حياتكم اليومية والعامة على السواء؟ خلاصة الخبر انه جاءت حكومة ، بعد ان ذهبت حكومة ، أو جاءتا وذهبتا في وقت معاً ، وهو الأصح .. وليست تدري احداهما لماذا جاءت ، ولا الأخرى لماذا ذهبت .. كذلك نحن لا نعرف على التدقيق من الذين ذهبوا ، ومن الذين جاءوا .. يقول بعضهم بان الحكومة التي جاءت هي خير من الحكومة التي ذهبت ، ويقول فريق آخر بالعكس ، وكل من الفريقين غير مقتنع كل الاقتناع .

ثم انه انعقدت مؤتمرات وانفضّت مؤتمرات ، أو لم تنعقد حتى انفضّت .. وقد كانت هذه المؤتمرات كالسؤال وجوابه ، أو كالصوت وصداه . لكن الجواب ما لبث حتى صار سؤالاً يحتاج إلى جواب ، والصدى صوتاً يثير اصداء .. وهكذا دواليك . ثم انه تغيّرَت السياسة : كانت سياسة أشخاص و « بعض المبادىء » ، فأمست سياسة مبادىء من غير أشخاص ، فسياسة أشخاص من غير مبادىء ، واخيراً — وهو الأقرب الى الروح العملي — سياسة « بعض » المبادىء و « بعض » الأشخاص .

ماذا تريدون ان أقص عليكم ؟ الأفضل أن « نسافر » من هـذا الزمن ، ونرجع الى الوراء ، قرناً ونصف قرن ، فنتحدّث عن الثورة الفرنسية مثلاً ، مخافة ان يرجعوا بنا الى ابعد من ذلك العهد ،

الى ما قبل التاريخ .

تعيّد الأمة الفرنسية ويُعيّد العالم معها كل عام ، لليوم الرابع عشر من تموز ، ويسمونه : عيد الحريّة . في ذلك اليوم من سنة ١٧٨٩ أثبت الشعب ذاته وإرادته وقوّته . وفي ذلك اليوم أيضاً كانت الانسانية ، وفرنسا في الطليعة ، تجتاز احدى المراحل التاريخية الكبرى نحو انعتاق الانسان من العبودية بانواعها .

ماذا كانت حالة فرنسا في ذلك العهد : حالتها السياسية والاجتماعية ؟ أخاف ، إذا أنا أطلت الكلام في الموضوع ، ان يتبادر الى الأذهان اني أحدِّثكم عن حالة بلادنا أو أدعو الى الثورة .. حاشا وكلا ! ان حقوق اللبناني قد أُعلنت عندنا من زمن بعيد ، منذ الدستور العثماني على الأقلّ ، ولم يبقَ إلا أن

تطبق ، وكل آتٍ قريب .. على ان سلسلة الأحداث الخطيرة التي عرفت بالثورة الفرنسية ، لم تكن حلقاتها الأولى سوى حركة تقدمية سلمية يُراد بها رفع المظالم الصارخة ، بل « الزوائد » الفاحشة التي إن يكن عجيباً من الشعب الفرنسي ، العمل على ازالتها حتى بالعنف ، فقد كان الصبر على بقائها ، أو على محاولة ابقائها ، من بعض الطبقات ، بالعنف والخيانة معاً ، أعجب وأدهى وأبلغ في النكاية .

في أواخر القرن الثامن عشر تغيّرت أشياء كثيرة في فرنسا ، ومن جملتها الأفكار : هكذا تبدأ الحكاية .. فالأوضاع والأساليب التي كان الشعب الفرنسي مذعناً لها كمفاسد لا مندوحة عنها ، اضحت في نظره مظالم لا تطاق ، من الواجب ومن الممكن ازالتها . لم يكن الشعب عهد ذاك يطلب غير وضع

حدّ لاستبداد الحكّام ، وللتعصب الديني أو المذهبي ، ولعدم المساواة بين الأفراد . كانت مطالبه تلخص في شعار مشهور تداولته الألسنة والأقلام ، منذ اواسط القرن : « حرية — مساواة » وهي ، كما ترون ، ليست على شيء من التطرف ، نظرياً على الأقلّ . لكنّ معنى هذا بطبيعة الحال ، كان القضاء عملياً على طريقة الحكم المطلق ، وعلى سنّة الاكراه في الدين ، وعلى قاعدة التفاوت في الضرائب والمكوس ، وعلى بقايا الاقطاعية بوجه عام — أي بكلمة واحدة : على الامتياز .. سوى ان ذوي الامتياز لا يريدون حرية ولا مساواة ، لسبب بسيط هو انهم مكتفون : تكفيهم الامتيازات !

لقد أجمع المؤرخون على القول بانه لم يكن في المجلس الوطني المنعقد سنة ١٧٨٩ والذي أعطى فرنسا

دستورها الجديد ، ثوريّ أو رجل فتنة واحد . إذاً فمن هم الذين ثاروا واضرموا نار الفتنَة؟ ان الرجعيين من الطبقات الممتازة ، اخذوا يحاربون بكل الوسائل ، في داخل وفي خارج ، النظام الذي استصلحه الشعب الفرنسي ، او ارتضاه لذاته . ذلك ان الرجعية لم تؤت صبر الشعب وسعة صدره ، فتسلّم بان هذه الأنظمة اصلاحات واجبة لا بُدّ منها ، أو على الأقلّ لا بأس بها . . فطفق ذوو الامتياز من النبلاء وغيرهم ، يهاجرون الى البلاد الاجنبية ، حيث عبأوا جيشاً على رأسه ستة آلاف ضابط ، من تسعة آلاف هم كلُّ ضباط الجيش الفرنسي . وكان في عدادهم شقيق الملك لويس السادس عشر ، واهله الأدنون . فما الذي يتورّع ذوو الامتياز عن اقترافه ، لحفظ امتيازاتهم ، ولدوام استغلالهم ، كأن الوطن « حقل » لا شركة

لاحد فيه ، حتى ولا للكادحين العاملين فيه ؟ (يظهر ان ثمة فرقاً بين الاشتغال في « الحقول » والاشتغال في « حقل الوطنية » فكلتاهما مهنة خاصة ، على حدة ، لها أربابها ..)

والآن ، ماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة المعقولة الطبيعية ان المجلس الفرنسي اتخذ قراراً عادلاً منصفاً لأولئك الأشراف الذين أثبتوا ، مرّةً أخرى في تاريخ الأمم ، ان لفظة « الشرف » هذه قد تكون ، في كل اللغات ، من أسماء الأضداد .. وان الملك لم يوافق على قرار مجلس الأُمة ، بل اخذ يعمل على استمالة اعضائه وقادة الجيش ، بالرشوة وغيرها من الحيل أو الطرق غير المشروعة ، لحملهم على مناوأة النظام الجديد . وكان في الوقت نفسه يفاوض زملاءه ملوك اوربا طالباً النجدة . وقد حاول الفرار

من باريس عاصمته ؛ فقبض عليه وأرجع بالقوّة . ثم سُجن وحوكم وأعدم ، بتهمة ممالأة العدو والتآمر على سلامة الوطن .. زعموا ان ذلك الرجل كان ملكاً بإرادة الله . أما الأمر الثابت فهو ان شعبه ضاق به ذرعاً !.

إن الثورة الفرنسية لم تعلن حقوق الفرنسي وحسب : حقوقه السياسية والمدنية ، بل أعلنت أيضاً حقوق الانسان . وهكذا كانت الثورة ومبادؤها بشير خير وصلاح للأمم جميعاً ، حتى ليصح القول انها ثورة انسانية عالمية ، بقدر ما هي ثورة فرنسية وطنية .. وإلا كانت كل أمة في العالم تترك للفرنسيين مؤنة الاحتفال لثورتهم ، ثم تفتش لها عن ثورة أو شبه ثورة خصوصية تتسلى بها ، اذا لم يكن بدّ من الاحتفال .

كانت الثورة الفرنسية بشير خير وصلاح وأمل للامم جميعاً ، فلا عجب أن تكون في الوقت نفسه نذير ويل وخطر وخسران ، للملوك والامراء وذوي الامتياز في العالم كله . كذلك لم يلبث هؤلاء الملوك والامراء وذوو الامتيـاز حتى تألبوا على الشعب الفرنسي واجتاحوا أرضه ، فكانت الملحمة المجيدة التي هبّ فيها الشعب يذود عن وطنه وعن كرامة الانسان ، صامداً في وجه الرجعية الاوربيـة ، فضارباً في اقفيتهـا ، فناشـراً حيثما حلّ ، بذور المبادىء الجديدة ، مبادىء الحرية والمساواة والاخاء ، للافراد وللامم على السواء .

لقد انقضى قرن ونصف قرن ، منذ ذلك العهد . واجتاح العدو الغاصب الارض الفرنسيـة ، كرة اخرى . وشهدنا في فرنسا ثورة ، لكن معكوسة :

ثورة على الشعب الفرنسي ، تريد أن ترجع به القهقرى . إن الرجعية حيثما كانت ، تلغ في كل إناء ، فلا تدع فرصة إلا اغتنمتها . وقد اغتنمت الرجعية الفرنسية ، هذه المرة ، فرصة هتلر القائل وهو الكاذب : « ليست الديمقراطية سوى أكذوبة » وغوبلز الصارخ وهو ينبح القمر : « إن عام ١٧٨٩ سيُلغى من التاريخ . » حقاً إن الرجعية حريصة على تقاليدها ، فهي لم تحد قيد شعرة ، عن خطة مهاجري الثورة الذين ائتمروا والاجنبي ، ومشوا صفاً واحداً في خدمة ملك بروسيا ، لمحاربة جيوش الجمهورية الاولى . لكن للشعب الفرنسي ، وهو من أعظم شعوب الدنيا ثورية واندفاعاً إلى الاصلاح ، تقاليده أيضاً ، وليس يحيد عنها قيد شعرة ، ساعة الخطر . إن المقاومة الفرنسية ، في داخل وفي خارج ، تحمل

المشعل الوهاج الذي لا ينطفي، : مشعل الحرية وحقوق الانسان والتقدم .

من حقكم الآن ، وأنا أهم بالانصراف ، أن تسألوني : (ونحن ما شأننا ؟ أين مشعل تقدمنا وحريتنا ، وحقوق « انسانيتا » ؟) هذه أيضاً أقصوصة من تلك الاقاصيص القديمة الجديدة ، كالحكومات التي تروح وتجي، ، والمؤتمرات التي تنعقد وتنفض ، والسياسات التي تتبدل وتبقى هي هي .. كقصص الحيات لا تنتهي إذا لم يوضع لها حدّ .

من منكم لم يرَ ، في ساحات هذه العاصمة ، البهلوان الذي يزدحم الناس حوله ، فيشهدهم من مخاريقه ، العجب العجاب ؟ أنا لست أنسى صنعه بالمشعل ، كيف يلوح به في الفضاء فاذا نوره يخطف الابصار ، ثم يبتلعه فاذا لا نور ولا نار ! . هو

مشعبذ محتال ، لكن انطفاء النور في فمه حقيقة مشهودة ، وواقع راهن . فاذا أردتم ان تعرفوا أين مشعل تقدمكم وحريتكم وحقوقكم ، فاطلبوه في حلق السياسة « الممتازة » .. اطلبوه ثمة قبل فوات الاوان ، فان حلق السياسة اقرب الطرق إلى جوفها ..

يأتي على كل امرىء ، وكذلك على كل أمة ، حين من الدهر ، يجب فيه أن تختار ، ولا سيما أن تحسن الاختيار . واكبر الظن أن اللبنانيين اليوم ، سيكفون السياسة عناء الاختيار لهم ، أو عنهم ، أو باسمهم . سيختارون هم بأنفسهم لانفسهم ، ويجربون هكذا حظهم . فلنثبت للملأ أن مبادىء الثورة الفرنسية وما سواها من الحركات التقدمية ، ليست فقط في الكتب التي نقرأها ، بل هي ايضاً في الحياة التي نحياها .

صديق اللبنانيين ، سجين فيشي بضع سنين ، من قادة الشعب الفرنسي في مناضلته النازيـة منذ كانت ، وهو في السابقين الاولين .

إن صفة واحدة من هذه الصفات ، إن مأثرة واحدة من هذه المآثر ، كافية لأن تجعل المرء عندنا ، جديراً بالتكرمة الخالصة ، والحفاوة البالغة . فكيف وجاك غريزا قد اجتمعت فيه كل تلك الصفـات ، كل تلك المآثر ؟

على اني لست أضمن أن لا صفـات له ولا مآثر ، إلا ما ذكرت ..

آه ! نسيت أن اقول لكم انه شيوعي ايضاً .

إنكم ، ولا ريب ، ستحتجون بأن « ايضاً » هذه هي في غير موضعها هنا:

— بهذا كان يجب أن تبتدي، ، وبه تنتهي ، فعلامَ التطويل ؟!

وسترون عما قليل ، كيف يقابل جاك غريزا تكرمتنا وحفاوتنا : لقد فهم — ولم يرض بان يفهم شيئاً آخر — اننا نطالبه بحديث مسهب ، بمحاضرة عن « مقاومة الشعب الفرنسي وفرنسا الجديدة » : ذلك في نظره هو كل هذا الاحتفال .

وسترون انه تكلّف وحده من الجهد ، اكثر مما تكلفنا نحن جميعاً ، فأتى — يا للضيف الكريم ! — حاملاً إلى مضيفيه « الزوادة » الفاخرة ، المنشطة ، المحيية ، راداً التحية بمثلها ، بل بخير منها .

إن جاك غريزا وصحبه يعرفون كيف يصرفون

هذه الحفلات والتظاهرات ، عن وجوههم إلى وجهاتها : الوجهات التي هم يرونها أحق بالتكرمة والحفاوة ، إلى الاشياء الباقية والقيم الرفيعة التي لا معنى للحياة بدونها .

إن جاك غريزا وصحبه الذين صمدوا في الجحيم النازي أو في « تفرعاته » للتعذيب ، للتنكيل ، للتقتيل ، للابادة ، راسخي القدم ، ثابتي الجنان ، عالي الجبين ، يعرفون كيف يحنون رؤوسهم الابية ، كي تتجاوزها باقاتُ الزهر التي يرشقون بها ، إلى تلك الاشياء الباقية ، والقيم الرفيعة التي لا معنى للحياة بدونها : إلى وطنهم ، إلى شعبهم ، إلى مثلهم الانساني الاعلى .. ولعل ذلك ، والحق يقال ، ناشيء عن انهم تعودوا من الرشق ، إلى زمن قريب ، غير هذا النوع الزاهر !.

لسنا من الذين يتصنعون اليــأس من الشعب الفرنسي تصنعــاً . لسنا من الذين يوطنون انفسهم على « ضرورة » اليأس من الشعب الفرنسي ، اكثر من اي شعب من الشعوب ، وكأنهم يريدون ان يخصوه بهذه « المعاملة الممتازة » كي يتفرغوا لهوى اجنبي آخر ، لرجاء « متضخم » . اجل ، لسنا من هؤلاء .

إننا — ولسنا نخشى لومة لائم ، ونحن فوق تهمة اي متهم — نرحب بفرنسا الجديدة كما يصورها جاك غريزا صديق اللبنــانيين ، ورفاقه اصدقــاء الشعوب .

تلك الصــداقة التي نرحب بها ، والتي لا محل لسواها ، لا في عقولنا ولا في قلوبنا ، صداقــة الوطن المستقل لوطن مستقل ، والشعب الحر لشعب

حر ، والجماهير العاملة لجماهير عاملة .. ليست صداقة فئة هنالك لفئة هنا ، هي احرى بان تُدعى « شركة » اي ان تسمى باسمها ..

ذلك الضرب من الصداقة هو الذي انطق جاك غريزا ، هنا في بيروت ، منذ عام ١٩٣٨ بهذه الكلمة : « نحن لا نريد استقلال لبنان وحسب . نحن نريد استقلال الشعب اللبناني ايضاً ..» ولا حاجة بي إلى القول ان استقلال الشعب اللبناني ، في رأي جاك غريزا وفي رأينا ، انما هو تحرره ، تحرر جماهيره ، تحررها بكل معنى الكلمة ، بمعناها العميق الشامل : ذلك هو الاستقلال الامثل .

والآن ، قبل ان يفرّ جاك غريزا من معركة الزهر هذه ، ويلجأ إلى محاضرته الحصينة ، ليؤذن لي ان احيي في شخصه المناضل ، شيوعيي الفرنسيس

والعالم اجمع ، طليعة جيش التقدم والمساواة والحرية .
إن مستقبل الانسان مدين لهؤلاء .

قلت : مستقبل الانسان !

منذ عام ، وإذا شئتم ان يصح الحساب تماماً وجب ان نقول : منذ عام واسبوع ..

من اين جاء ذلك الاسبوع ؟ لقد غاظنا جداً ذلك الاسبوع . غاظنا من كل الوجوه .. لكن بوسعنا ، وبوسعنا نحن وحدنا ، ان نفترض ان ذلك الاسبوع لم يكن ، لسبب بسيط هو انه لا محل له من الاعراب . فلولا ذلك الاسبوع ، ما كنا اليوم في السابع من ايار . لولاه كنا حيث ينبغي ان نكون ، اي في الاول من ايار ، نحتفل في الموعد المضروب ، لعيد العمل والعمال .

لقد اردتم بملء ارادتكم ، بمحض اختيار كم ، ان يؤخر الاحتفال ، ضناً بهذا العيد المجيد ان

تشوبه اية شائبة ، اياً كان مصدرها ، وايان يكون مصيرها . ان كثيراً من الاعيـاد لا تنتظر . يجب ان يُحتفل لهـا في وقتها ، والا لم يبق لها موضع او موضوع . اما عيد العمل والعمال ، اول ايار ، فهو يعرف ان ينتظر . انه تعوّد الصـبر الطويل . انه كقضية العمل والعمال نفسها ، يعرف ان ينتظر ، ويعرف ان ينتصر .

إذاً لقد انقضى عام ، منذ اجتمعنـا في هذا المكان ، لهـذه المنـاسبة . عام ضخم سمين حافل باحداث لها ما بعدها ، نكاد من اجلها نغتفر له الذيل الذي ألحق به الحاقـاً ، او ألصق الصاقـاً ، ونكاد نضرب صفحاً عن التأخير في موعد عيدنا .

في ذلك العام السعيد ، طرد الجيش الاحمر من الاراضي السوفياتية ، الوحش النازي ، وهو الآن

رافع يده الجبـارة لينزل به الضربـة القاضية . وهكذا اعطى الاتحاد السوفيـاتي البرهان على ان قضيـة الحق والحرية في العـالم باسره ، تمشي بخطى سريعـة ، بخطى محتمـة ، إلى النصر المبين ، الى النصر المحتوم . لقد اعطى الاتحـاد السوفيـاتي على ذلك آخر برهان ، لآخر المشككين ..

وفي هذا العـام السعيد ايضـاً تمكن الشعب اللبناني من ممارسة شطر كبير من خصائص استقلاله وسيادته القومية التي ظل محروماً منها ، خلال قرون متطـاولة . وهو يسير قدماً نحو استكمال سيـادته واستقلاله ، محمولاً على جناحي تلك الروح الجديدة التي تتجلى رغم كل شيء ، رغم كل الاشياء التي لا يُعتدّ بها ، في ارادة اللبنانيين الواعين المخلصين ، على اختلاف طوائفهـم واجناسهم ، ان يعيشوا معاً

ابنـاء شعب واحد حر ، في وطن واحد سعيد . ونحن على يقين من ان هذه الروح ستبقى متجلية في جهود اللبنـانيين المتوافرة ، لحفظ كيانهم الوطني وتعزيز كرامتهم القوميـة . كما اننا على يقين من ان هذه الروح الخيّرة تتجلى بادوع مظاهرها وانبلها وابقاها ، في العمال ومنظماتهم الرشيدة .

لقد انقذ العمال الحرية في العالم ، فليس بدعاً ان يُنتظر منهم ان يحفظوا الحرية في لبنان . ليس اول ايار عيد العمال وحسب ، فهو ايضـاً عرس الحرية . وانما هو عرس الحرية ، لانه عيد العمال .

٢

.. وذاك – ايها السادة – صاحب الذكرى ، كما ترون : لم تَسِرْ به الحيـاة على خط واحد ، بل على خطوط عدة ، متوازية تارة ، متقاطعة تارة أخرى ، تتناوب قِصَراً وطولاً ، شطرَ غاياتهـا ، كمدّ البحر وجزره ، وفقَ مُلابسة الدنيا ومناسبة الزمن . وانه لمن سعد الطالع ان الوجود لم يتغنَّ به ، كما يصنع بالخلق عادةً ، على الوتيرة الواحدة – مِنْ سَعْدِ المُنْشِد والسامعيـه على السواء . لكن التلخيص والتبسيط قد يصوران تلك السيرة ، مجردةً من الملابسة الدنيوية ، والمناسبـة الزمنية ، تدور على محورَيْها من القول والعمل ، من جودة

القول وصلاح العمل .

قال الشعر بالفصحى سالكاً الجدَد ، وهواه العامية ، ابنتها الحسناء غير الشرعية . عمل في الادارة « النظامية » لكن حنينه إلى هامشها : النضال حتى التمرد .. وإنه لما يشغل الذهن حقاً ، هذا الاتصال البعيد الغور ، الاصيل عند الشعراء ، بين عبقرية القول وعبقرية العمل . فالمتنبي مات على إيمانٍ بأنه حُرم كل شيء لأنه لم يُعطَ ولاية . ورنبو دَفَن ذاته ، تاجراً مغامراً ، في أنكد عيش . ناهيك بأبي نؤاس ، ذلك الماجن الذي يتوعد في بعض شعره البصريَ جاداً ، بأن « سيبغي الغنى ، إمَّا جليس خليفة ، أو مخيف سبيل ..

بكلِّ فتىً لا يُستطارُ جَنانُهُ

اذا نَوَّهَ الزحفانِ باسمِ قتيلِ

لنخمسَ مالَ اللهِ من كلّ فاجرٍ
أخي بطنةٍ ، للطيباتِ اكولِ . . »

فكأني بالشعراء يعييهم الخلقُ بالكلمة ، في دنيا الصور والفِكَر ، فيلوذون بدنيانا ، ليضعوا طابعهم في طينتها المجبولة بعرق البشر ودمهم ، وهكذا يهبطون من حالق ، فيثأرون من انفسهم ، إذ يحسبون انهم يثأرون لها ، فيا للفجيعة !

على ان صاحب هذه الذكرى وُفِّق أخيراً ، إلى التوفيق بين القول الجيّد والعمل الصالح ، في ذلك المزيج الفذّ « كلنا للوطن » . فالنشيد اللبناني ، ككل نشيد وطني يحيا في الجماهير ، هو كلام متجدد الروعة ، وفعال باقي الأثر . .

كنت افكر في الكتاب العربي . اقول : الكتاب العربي ، وأعني : اللغة العربية . لكن ليس بوصفها أداة للعبارة عن ادراك الانسان وتصوره واحساسه ، شأن سائر اللغات — أداة وحسب — بل أيضاً بما حُمِّلَتْه تلك الاداة ، قديماً وحديثاً ، من روائع المنظوم والمنثور ، في كل فن ، ومن كل لون . ولا حاجة بي إلى القول ان تفكيري هذا لم يكن تفكير كاتب من الكُتّاب ، بل تفكير قارىء من القارئين .

وكنت في الوقت نفسه استعرض ، عن غير قصد ولا روية ، بسرعة البرق الخاطف ، صوراً ناصعة وباهتة من حياتي ، في مختلف اطوارها

وبيئاتها المادية والمعنوية . فانتهيت ، ولست أجد في ذلك غرابة ولا غضاضة ، إلى هذه النتيجة البسيطة المركبة على السواء ، وهي اني ، بعد كل حساب ، مدين للكتاب العربي بارغد شطر من عمري .

لقد عرفت ، كأيّ من خلق الله — من غمار الناس ، فلا محلّ للتواضع الكاذب — حالات لذة وبهجة وهناء ، مما تيسّره لنا ، او تُغدقه علينا ، هذه الحياة الدنيا . لكنّ ما اعطانيه الكتاب العربي هو أبعد غوراً والصق بسويدائي ، وأكثر شمولاً وأبقى على الأيام ، وأصفى جوهراً وأسمى ، من كل ما عداه . وليس في هذا الحكم إجحاف بايّ حق ، ولا نكران لأيّ جميل .. كذلك ادخلت في الحساب ، ومنذ البداية ، قضية « السن »

أيضاً .. سوى اني لا أعرف في حياتنا من المباهج والملاذ ما ليس يمازجه ، أو يعقبه كثمالة الكأس ، شيء من الخيبة أو الندم أو القلق ، خلا مباهج الكتاب وملاذه : الكتاب الجيد الذي تقرأه اكثر من مرّة ، فكلّ مرّة يزيدك لذة وابتهاجاً .

كنت أفكر في الكتاب العربي ، في متعته الباقية وجوهره الصافي ، لما جاءني نعيّ شيخنا الغلاييني ، رحمه الله . لا اريد ان استبق الحوادث ، فأذكُر علاّمة بيروت وفقيد اللغة العربية ، بما هو اهله ، قبل ان تقام لاحياء ذكراه وتكريمها ، حفلة أو حفلات يتبارى فيها الشعراء والخطباء .. لا ، لكن هذا الكتاب العربي الذي كنت أفكر فيه ، ليس يفترق في ذهني — وفي ذهني خاصة — عن صورة للغلاييني وهو فتى .. هو في أول عهده

بالتدريس ، وأنا في أول عهـدي بالدراسة . يعلِّمنا العربية فيجيد تعليمنا ، ويؤدبنا بها فيحسن تأديبنا ، بكل ما أوتيه من معرفة وإيمان . اني — وكثير امثالي في هذا البلد — مـدين للشيخ مصطفى الغلاييني ، بأفضل مـا عندي من معرفة وايمان بلغة الضاد ، ومدين له بما قد يكون خيراً من هذا كله : مدين له بالانطباع الأول ، بالدفعة الاولى . وإن أنسَ لا أنسَ كيف كان ، رحمه الله ، يعلِّمنا العربية وقواعدها ، في مؤلفاته وهي بعد مخطوطة ، في حيّز التأليف ، قبل ان تصير « سلسلة الدروس العربية » المطبوعة والمتداولة في أيدي الالوف من الطلاّب ، في جميع الأقطار . فكأنّنا كنا نحضر مولد تلك الكتب النافعة ، أو كأن لنا في وضعها حظاً .

منذ نحو ثلاثة أعوام ، نظّمت وزارة التربية

والفنون الجميلة ، سلسلة محاضرات أذيعت من محطة بيروت ، في موضوع « الثقافة ومظاهرها المختلفة في لبنان » . وقد طُلب يومذاك إلى فقيدنا الكبير ان يحدّث المستمعين عن اللغة العربية ونصيب لبنان منها . فألقى ، رحمه الله ، محاضرة قيّمة لا يزال اثرها في نفوس الكثيرين ممن سمعوها أو قرأوا نصها . في تلك المحاضرة أتى الغلاييني على تعداد عشرات الاسماء لأعلام اللبنانيين الذين كان لهم في تدريس العربية ونشر آدابها ، أوفر نصيب ، مبتدئاً بالشيخين محمد الحوت وناصيف اليازجي ، ومنتهياً بالمعلمين جبر ضومط واحمد عباس الأزهري . وهذه اليوم في تاج العربية الذي يزيّن مفرق لبنان ، جوهرة جديدة فريدة . رحم الله أستاذنا الغلاييني بقدر ما اشرب قلوبنا من محبّة المكتاب العربي .

لخمسة عشر عاماً خلت ، كنت ازاول المحاماة على طريقة خاصة .. أعني : أتمرّس بها كتمرّس أبي الطيب المتنبي بالآفات ، لا المحاماة تنقاد إليّ صاغرة ، ولا أنا ابشُّ لها متزلفاً . فكنت ادعو الله سراً وعلانية ، ان يصرفها عني بالتي هي احسن ، كي لا يكون من ذلك عليّ حجة ، ولا سيما عند الذين لا شأن لهم معي ، وهكذا الناس ..

في ذلك الوقت العصيب اغارت مجلة « الكشاف » بخيلها ورجلها .. وبين بكرة وضحاها احتلّت مكتبي ، كأنما أُلهمتْ ان تملأ فراغه ، مخافة ان يطير . وإذا قلت : « بخيلها ورجلها » فقد اسميت — لا اكثر ولا أقل — بهاء الدين الطباع مدير تلك المجلة ،

الذي كان والحمد لله ، بمختلف حركاته ، وجميع اصواته ، جيشاً وحده . لكن لم يكن لهذا الجيش اللجب من العتاد ، سوى قلب صادق شجاع ، وهو على ما يظهر ، دون الكفاية .

وكان امين الريحاني يعطف على الكشفية . وكان هذا العطف يتجلى في أجمل صوره : مقالة يمدّ بها مجلتهم « الكشاف » كلّ شهر او شهرين ، لا يكاد ينقطع مدُه . ولا حاجة إلى القول إن خير ما في اجزاء تلك المجلة ، كان فصولاً للريحاني من كتابه القيم « تاريخ نجد الحديث » قبل طبعه ، بذلها بسخاء واريحية لم اعرف لهما مثيلاً عند كبار مؤلفينا . لكن ظللت زمناً نفسي تحدثني وهي فخور ، بأنه انما يفعل هذا اكراماً لي ، ثم لم البث حتى علمت انه سخاء في الطبع واريحية في الفطرة ،

شاء الريحاني ان يؤثر بهما « القلب الصادق الشجاع » عسى ان يثبت للملأ ان هذا وحده ، رغم كل شيء ، قد يكفي احياناً .. وأصبحت مجلة « الكشاف » ولها امين الريحاني — ليس لها إلاّه — وكفى !

الآن ، وكأن ذلك العمر البعيد القريب سفينة عصفت بها أهواء وأنواء لا أدري أيهما كان أشدّ هَولاً ، وقد تحطَّمت السفينة وضاعت حمولتها بين سمع الزمان وبصره ، تعود بي الذكرى الامينة إلى الحقبة السعيدة ، هنيهات أنا منها في واحة المسافر بلغ منه الظمأ والعَياء . في هذه الواحة لا أفتأ أتمثَّل الريحاني ، كلما قدم بيروت من صومعته في الفريكة ، مُقبلاً علينا بوجهه الطلق ، فلا يستقرّ به المجلس حتى يسأل متلهفاً : « كيف

المجلّة ؟ » ثم يلتفت إلى الطّبّاع قائلًا بلهجة المعتذر : « وبهاء ؟ كيف صحته ؟ » وترنّ في انحاء الغرفة الضيّقة ، ضحكة برينة لا تحفّظ فيها ولا اسفاف ، عادلة بين السخر الطاري والوداد المقيم . أما بهاء الدين فيكون مشغولاً عن الجواب بانتظار المدد الذي يأتيه ، أغلب الأحيان ، في صورة مقالة أو فصل من كتاب لم يُطبع ، أو بعض فصل .

فمن تراث ذلك الزمن الرغد الذي تُجِدّهُ الذكرى اليوم ، حتى كأني لم أبارحه قيد لحظة أو شبر ، وُرَيقات معدودات بخط الريحاني ، لست أدري كيف ولماذا حفظتها ، منذ نُشرت في أحد أجزاء « الكشّاف » سنة ١٩٢٨ . وها هي ، بعد ان لبثت في دُرجي أعواماً كالأسماء المنسية المطوية في غيابة الذاكرة ، تنبعث فجأة وتطفو كحطام السفينة الغريقة بين

السماء والماء : صحائف خطَّهـا قلم الريحاني ، واضحة مثل نفسه ، مستقيمة استقامة تفكيره ، بذلك الخط المعروف المألوف لدى أرباب الصحف في العالمين القديم والجديد ـ خط وسط بين التربيع والتدوير. وهنا ، على زوايا الوريقات الثمينة ، لُطَخٌ أسود من بصمات مرتِّب الحروف الذي قرأها ، ولا بُدَّ ، متهجّياً .. فأنا أيضاً مـا زلت أقرأ هذه الصحائف بضرب من التهجئة الذهنية ، لست أخرم من معانيها ومقاصدها معنى أَو مقصداً ، فلا أزداد إلاّ إعجاباً بها . ثم تغلبني الذكرى ، وترجع بي القهقرى ، حتى إذا اكتنفني ذلك الماضي ، علمت علم اليقـين اني ما ادّخرتها يومذاك ، إلاّ لهـذا الاعجاب الذي يعاودني ، الساعة ، ممزوجاً بالحنين .

تلك الصحائف مقالة عنوانها « في ربيع اليأس »

هي عندي من اروع ما كتبه الريحاني ، وابقاه على وجه الايام . حكى فيها حكاية نفسه ، مهملاً الفضول ، نابذاً القشور ، التي تلازم حياة ايّ انسان مهما يكن عظيماً ، ولا سيما إذا كان عظيماً . ترجمة حال بقلم صاحبها ، متبلورة ، صافية كالذهب الابريز . بل لوحة رسم عليها المصور البارع خطوط آرائه في المجتمع والسياسة والدين ، في المبدإ والمصير وما بينهما ، وسط هالة من الذكريات الخاصة تنبض احساساً ، وتفيض قوة إيحاء . في هذه المقالة « فتح الريحاني — كما يقول — كتاب النفس ، ليطلع قارئه العزيز على صفحة من صفحاته الشخصية الخصوصية » . وهو كتاب لم يكن الريحاني ، بوازع من الانفة الحيّة ، ليفتحه الاّ في النادر القليل . ولقد يخيل اليّ حيناً انه إنما أنشأ هذا المقال

الفذّ ، خلال ازمة نفسانية لم نعرف مداها ، انتقل فيها من شتاء اليأس إلى ربيعه ، لكنه لم يخرج من اليأس : تتغير الفصول ، وتبقى الدنيا كما هي. وكان عزاء الريحاني في تلك الازمة النفسانية ان « ليأسه — كما يقول — سلماً لولبياً من الاشواق والآمال .. وانه ، وهو المقيم في وادي الفريكة ، في هذا الزمان ، زهرة من يأس الانبياء : زهرة نوّرت ، فذوت ، فتناثرت اوراقها ، ثم انتثرت من قلبها بذور الحياة ، فحملتها الرياح الى النواحي الاربع من الارض ».

لا أعرف من ترجم للريحاني باصدق من هذا الكلام.

في الأدب العربي الحديث ما يصح ان نسميه « المدرسة الاميركية » . ولعلّ هذه المدرسة ، في اختلاط المحاولات، وفوضى التيارات، أبرز مدارسنا الأدبية الجديدة خصائص ، وأوضحها مميزات ، سواء أمن ناحية التفكير ، أم من ناحية التعبير . كادت هذه المدرسة ، في الأدب العربي الحديث ، تكون كالجزيرة الحائرة ، تبحث في عرض الاوقيانوس ، عن ساحل تستقر فيه ، وتلصق به . وهي في الأدب العربي ، على اطلاقه ــ قديمه والجديد ــ أشدّ حيرة وانأى غربة . فكأن لم يكن من همّ اصحاب هذه المدرسة ، ولاسيما في نشأتها الاولى ، إلاّ أن يأووا من الأدب في أرض عذراء بور ، لا حائط ولا

شجر ، كي يزرعوا هم ، ويرفعوا الجدران . وقديماً اتهموا الشعب الاميركي نفسه بحداثة العهد في الآداب والفنون وسائر أسباب الثقافة ، فزعموا ان لا ماضي له ، أي لا تقاليد .. لقد اتسم الأدب العربي في المهجر ، بهذه السمة ذاتها ، لا اكثر ولا أقلّ . وهي أحقّ أن تُطلق عليه من صفة « الثورة » التي ادعاها ، أو نحلوه إيّاها .

يقول ريمي دى غورمون : « كل تبديل يطرأ على أدب أمّة من الأمم ، فلا بُدّ أن يكون ناشئاً عن علة خارجية » أو أجنبية . فالأقرب إلى الصواب أن يُعزى التبديل الذي طرأ على أدبنا العربي ، بتأثير أصحاب المدرسة الاميركية ، إلى هذا الضرب من العوامل . وهو في ألوان الشعور وطرائق التفكير ، أظهر منه وأبقى في أساليب الانشاء .

وأنماط التعبير . وإذا كان أدب المهجر كُوَّة أطلَّ منها الأدب العربي على الدنيا الجديدة، فان أصحابه قد جاءوا الأدب العربي من خارج .

انتهى الريحاني من وضع أول مؤلفاته « المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية » في ١١ تموز سنة ١٩٠١ . ويقول في مذكرات ذلك اليوم القصيّ : « ولكن سوف لا أطبعها قبل ان أصير قادراً على تصليح لغتها بنفسي .. »

على ان البند الأول في برنامجه عهد ذاك هو ان يتعلم اللغة العربية وقواعدها في « بحث المطالب » . منذ ذلك العهد الف الريحاني في العربية ، اكثر من ثلاثين كتاباً ، في مواضيع شتى وبأساليب مختلفة . وكان يوفّق إلى افراغ كل موضوع في افضل أساليبه . لقد تطور انشاؤه خلال هذه الاربعين

عاماً التي حفلت بالدأب المتواصل ، والانتاج المنتظم ، تطوراً عجيباً ، كان أبلغ الاثر فيه ، على ما نرجح ، لرحلاته العديدة في الاقطار العربية ، إذ اصبح في ما يكتبه ، متوجهاً نحو اكبر عدد ممكن من الناطقين بالضاد . فازداد ترسله دقة وسلاسة ونبض حياة بكل معنى الكلمة . لكن امين الريحاني لم يقطع صلته بالماضي تماماً ، بماضيه هو ، بين رفاق النشأة الاولى ، في « مدرسة » المهجر . وبقي طوال عمره ، الكوة المفتوحة بين الشرق والغرب ، يدخل منها النور ، وتلعب الريح .

أشياء كثيرة تذكِّرنا هذه الأيام بأمين الريحاني: شتى لكن غير متنافرة ، حتى ولا متعارضة ، بل بالضد . أولها الصدام الضخم الذي يشهده العالم – ويشهد نهايته – بين قوى التقدم والرجعية ، لانشاء مجتمع جديد يتمتع فيه الأفراد والشعوب باكثر ما يمكن من اليسر والحرية ، وقد كان أول كتاب أصدره الريحاني بالعربية عام ١٩٠٣ « موجز تاريخ الثورة الفرنسية » ثم استمر بقية عمره يناضل من اجل المبادىء التي اعلنتها الثورة الكبرى . وثانيها مشيُ الشعب اللبناني قدماً نحو استكمال شروط السيادة والحياة الاستقلالية ، وقد كان الريحاني من أنشط العاملين ، بقلمه ولسانه ، في الحقل

الوطني ، يُلمس أثرُ ذلك في كل ما كتبه وأذاعه . وثالثها مشاورات التعاون العربي الذي كان الريحاني من أصدق الداعين إليه ، والساعين له ، عن الطريق المثلى ، طريق التعارف بين مختلف الأقطار العربية ، يعرّف العرب بأنفسهم ، ويُعرّف بعضهم إلى بعض ، في مؤلفات قيّمة مُمتعة ، من « ملوك العرب » إلى « قلب لبنان » آخرِ كتابٍ له لم يتمّه . وأخيراً هذا المهرجان الألفي لمولد أبي العلاء الذي كان الريحاني سبّاقاً إلى نظم مختارات من شعره في ترجمة انكليزية جيدة ، ينتقل القارىء الغربي بها إلى جوّ « اللزوميات » وكانت هذه الترجمة أول مؤلفاته بالانكليزية سنة ١٩٠٣ .

ان أمين الريحاني توفي في الثالث عشر من ايلول سنة ١٩٤٠ . وقد كنت ونفراً من اخواني ،

تعوّدنا أن نقول ، في مثل ذلك اليوم من كل عام ، كلمات نعرض فيها لنواح من هذا الذهن الفريد الذي لو أُتيح له أن يعيش سنين معدودات ، زيادة عمّا قُدِر له ، لرأى بعيني رأسه تحقيق تلك الأشياء العزيزة عليه ، والتي كانت بعض أمانيه الغالية . على انه يوسعنا القول ان أمين الريحاني لم يكن غائباً ، لا عن مشاورات التعاون ، ولا عن العيد الألفي ، فضلاً عن المراحل التي يجتازها لبنان نحو التمرس بحكمه الوطني الديمقراطي الصحيح .. ليس الريحاني بغائب تماماً . فما أكثر ما اقتبسته الصحف ، هذه الأيام ، من مؤلفاته النفيسة عن الأقطار العربية ، حتى كأنّ هذه المؤلفات مرجعها الوحيد . ولَنِعْمَ الرأي ارتآه شقيق الريحاني البرت ، إذ أصدر في

أيلول من هذا العام ، طبعة رابعة من ترجمة «اللزوميات» الانكليزية ، مُساهمة في إحياء ذكرى المعري . فإذا كان أمين الريحاني لم يفتْهُ ، برغم الموت ، تكريمُ شاعره العربي المختار ، فلن يفوتنا نحن الأحياء ، تذكير الناسين من بني قومنا ، هذه السنة أيضاً ، بأنَّ الريحاني في أسفاره — بالمَعْنَيَيْن — كان طليعة التعاون العربي الذي تلهج به الألسنة ، وتُعقد له المؤتمرات . كما أن الريحاني ، بسبقه إلى نظم طرائف من آراء المعري وصوره بالانكليزية ، منذ أربعين عاماً ونيف ، كان خير أنموذج لذلك الاشعاع اللبناني الذي يتجلّى في مظاهر متنوّعة ، ليست الكتابة نثراً وشعراً باللغات الأجنبية أضعفها شأناً ، ولا أقلّها جدوى . إن اللبناني إنسانٌ مولع بالتغرب ، تغريه به عوامل عارضة وأصيلة : التغرُّب مادّة

ومعنى ، بالجسد والروح ، للأخذ والعطاء . هكذا كانت حياة الريحاني رحلتين اثنتين : رحلة إلى الشرق ورحلة إلى الغرب ، وتبقى الفريكة مرفأه الأمين ، وحصنه الحصين .. كاد الريحاني ، في سيرته وفي كتابته ، ان يكون رمزاً .

٣

كنت ذاتَ يوم ، اجتاز ببعض الشوارع ، لا ألوي على شيء .. لم يكن من همي ، في تلك الساعة ، إلاّ أن اسرع إلى الترام ، فآخذه قبل زحمة الغروب . إذا بعبارة تصك سمعي كالمفاجآت الغريبة ، قيلتْ بما يشبه الهمس ، لكنها « سلطنت » على ذلك المزيج الضخم من أصوات ، الذي يسمونه : ضجة المدينة . سمعت قائلًا يقول : « لا .. بعد الاستقلال » . وكانت اللهجة التي قيلت بها هذه العبارة لا تخدع : تدل على ان قائلها يريد ان يؤرخ امراً من الامور ، حادثاً من الحوادث ، اي ان يضعه في موضعه من الزمان . فهو لا يذكر اليوم ولا الشهر ولا العام ، كما جرت العادة ، لكن

يؤكد ان الحادث كان «بعد الاستقلال» . وبالطبع لقد التفتُ ورائي كي انظر إلى «مصدر» هذا التاريخ الجديد الذي جاء ينافس الطوفان والميلاد والهجرة ، في الحفظ البشري . فرأيت رجلين مثلنا ، مثل كل الناس ، يتحاوران في شأن من شؤونهما اليومية ، وقد اختلفا على الزمن ، ليس غير . ولعل احدهما ، ويا للاسف ! كان يطالب الآخر بدين ، قائلًا له : «لقد مطلت وأطلت ..» فيجيبه الآخر معتذراً : «لا .. ذلك كان بعد الاستقلال» .

ليس من قصدنا هنا ان نفصل في هذا الخلاف بين هذين المتجادلين على رصيف الشارع : الدائن والمدين . ان الدائن ملحاح يحاول إقناع صاحبه بان استقلالنا عجوز ، لانه بلغ من العمر بضعة أشهر (وهو عمر الكمبيالات الطبيعي) . وأما المدين

فتقاعس ، يحاول إيهامنا بأن ذلك الاستقلال هـو ابن اليـوم ، أو على الأكثر ، ابن الأمس ، لان حيـاة الأمم لا تُقاس بما يُقاس به عُمر الأفراد ، وهلمجراً وهلمجراً .. ليس من قصدنا الفصل في هذا الخلاف الذي قـد يهمّ وقد لا يهمّ ، حسب وجهات النظر ، كما هو شأن الدائن الملحاح والمدين المتقاعس ، شأنهما على السواء ، وشأن كل طالب وكل مطلوب . لكن ما لا خلاف فيه هو أن هذا النبأ : « الاستقلال اللبناني » قد أحدث في الأذهان ، ولاسيما أذهان العامة ، أثراً بليغاً ، حتى صاروا يُؤرخون به شؤونهم اليوميـة . وأكبر الظن ان السبب الأساسي في هذه النتيجة هـو انهم ساهموا في « الاستقلال » مُساهمة ذات وزن ، اشتركوا فيه اشتراكاً فعلياً ، كانوا إلى حدٍّ مـا ، مادّته الحيّة .

فالاستقلال اللبناني ، هذه المرّة ، لم يكُن حدثاً غريباً عن اللبنانيين ، يُقرَّر فقط في الأوساط العليا والدواوين ، أو يُثْبَت في العهود والقراطيس ، لا . لقد كان أيضاً وبالدرجة الاولى ، صُنع الشعب اللبناني : صُنع روحه ودمه . وليس هذا بالأمر التافه أو اليسير .

سوى انه بقي شيء : بقي أن لا تبعد الشقّة بين العهد الاستقلالي والشعب اللبناني ، ان لا تنقطع الصلة بينهما . بقي ان يستمر هذا الشعب على رجائه في ان يكون هذا العهد له حقاً وصدقاً ، وليس لأفراد منه ولا لفئاتٍ . ومتى قلنا : « العهد الاستقلالي » فقد قلنا : « الوطن اللبناني » الذي يريده أبناؤه حُرّاً سعيداً ، بهم جميعاً ولهم جميعاً ، كي يؤرخوا دائماً ، شؤونهم اليومية ، بيوم من أيام السعد . .

بوسعنا القول ان لبنـان ، خلال فترة ما بين الحربين ، لم يتمرس بسوى تجربة واحدة ، لم يعرف سوى عهد سياسي واحد . ولا ننس ان تلك الفترة دامت نحواً من ربع قرن ، وليس ذلك في زمننـا المجدّ السريع ، بالبرهة القصيرة .

نحن لا نزعم ان الشعب اللبنـاني لم يكن ، طوال هذه المدة المديدة ، منطوياً على اية رغبـة ملحة او فاترة ، في ان يستبدل بتجربته تلك غيرها ، او في تخطي ذلك العهد السياسي إلى غيره ، إلى ما هو خير منه . لكن الواقـع انه لم تبدر منه اية حركة رفيقة او عنيفة ، صائبة او طائشة ، تستهدف التغيير والتبديل . حتى لقد كان يخيل الى الناظر ان

لبنان جامد ، بينما الارض تدور ، او هو على الأقل واقف ، بينما الاقطـار المجاورة تحرك ارجلها تحفزاً للمسير ، بل اخذت تسير .

ترى ، هل غلب على ظن لبنان الذي أطلع ، قبيل الحرب العظمى الماضية وفي اثنائها ، نفراً كانوا ، بلا مراء ، في مقدمة ذلك الجيش الباسل النبيل ، جيش الدعاة إلى التحرر القومي ، والمجاهدين في سبيل الاستقلال الوطني .. ترى ، هل غلب على ظن لبنان انه قد بلغ أخيراً الغاية ، فاستراح ؟

لا نظن ذلك ، بل كل شيء ينطق بعكسه . فان ما أوتيه الشعب اللبناني من أصالة التهذيب وشيوع الثقافة ، ومن النضج الاجتماعي والوعي السياسي ، كفيل بان يدفع تلك التهمة ، تهمة النوم . واي نوم ؟ على اكاليل من غار مستعار ،

ومستعار بالمعنَيين .. لقد سنحت للشعب اللبناني فرصة سعيدة موآتية ، فاثبت ان جميع تلك المؤهلات فيه لم تذهب ـ ولا يصح ان تذهب ـ باطلًا : المؤهلات للتمرس بتجربة سياسية جديدة ، في هذا العهد الاستقلالي الذي نحن الآن فيه . لم يذهب باطلًا ولا يصح ان يذهب باطلًا ، أن لبنان بقي عصراً وبعض عصر ، في طليعة الاقطار العربية ، نهضة علمية وادبية واجتماعية ، وفي الطليعة أيضاً حركة « تحررية » بمعناها العام الشامل . لم يذهب باطلًا ، ولا يصح ان يذهب باطلاً ، ذلك الاشعاع اللبناني الذي ينتظم بالهجرة ، فبالاقامة ، ثم بالنبوغ ، الجهات الاربع من الارض .

ونحن اذ نقول هذا ، لا نقوله ، يشهد الله ، تبجحاً او تزيداً ، بل ولا تلذذاً بالنبإ المفرح الذي

يحلو بالاستعادة . انما نقوله كي نتأول لانفسنا كيف ان لبنان ، وفيه تلك المؤهلات الاصيلة القيّمة ، ومنه ذلك الاشعاع المتصل المتعدد ، ظلّ في سنيه العشرين الاخيرة ، بينما كانت الدنيا تدور ، والاقطار المجاورة تسير .. ظل واقفاً على « سياسته » وقوف شاعر على الاطلال ..

سوى اننا لسنا بحاجة إلى اطالة فكر او روية ، كي نعزو ذلك جميعه الى سببه الواحد المباشر ، وهو ان لبنان كان خلال الفترة الخرساء — ولنسمِ الأشياء باسمائها — منقسماً على ذاته . وكان كلّ من جزئيه الاثنين يشعر نحو الآخر ، ببعض الحذر وبكثير من الوحشة . وانما على صعيد الوطنية الصرف ، يبطل الحذر وتزول الوحشة . « وقد يجمع الله الشتيتين .. »

تجوس الأحاديث ، هذه الأيام ، خلال الحركة العربية : ماضيها أو حاضرها ، ولاسيما ماضيها . ان « الحركة العربية » تسمية عامة مطلقة يكتنفها شيء من الغموض ، كسائر التسميات التي تُدمغ بها التطورات السياسية القومية ، قبل ان تُبيّن حدودها ومعالمها ، أو تبلغ مداها الأخير الذي تستقرّ فيه ، إلى حين . لكن مهما يكن من أمر ، فثمة شيء ثابت بيّن ، لا خلاف فيه ، ولا إبهام حوله ، هو النشاط الفكري والسياسي الذي استهدف ، في سياق تاريخنا الحديث ـ ولا يزال ـ بالدرجة الاولى : استقلال الأقطار العربية ، وبالتالي : توثيق الروابط على أنواعها ، بين هذه الأقطار .

وبديهي ان النقاش لم يتناول هذا الموضوع الجليل ، إلاَّ لعلاقته المباشرة بما تعاقب من مفاوضات في الأشهر الأخيرة ، بين أقطاب السياسة العربية في جانب ، وبين رفعة مصطفى النحاس باشا في الجانب الآخر . وأقرب هذه المفاوضات عهداً ، وأمسُّها بنا في الوقت نفسه صلة ، مفاوضات البعثة اللبنانية الكريمة .

لقد درجت الصحف المصرية ، والبلاغات الرسمية أحياناً ، على التعبير عن تلك المفاوضات بلفظ « المشاورات » . فهم يقولون : مشاورات الوحدة أو الاتحاد أو التعاون وهلمجراً .. ولما كانت القضية العربية متقدمة على كل هذه التعابير ، فلا يُفَسَّر استعمال لفظ « المشاورة » هنا ، إلاَّ بأن رئيس الحكومة المصرية (السابق) هو الذي ابتدَهَ ، بل وهو

الأصحّ ، « استأنف » تلك المفاوضات العربية ، إذ طفِقَ يقوم بها على التوالي ، مع رجال الحكم او ممثلين لهم من سائر الأقطار . وعلى كل ، فانه لمما يسترعي الانتباه والتقدير ، ان تصبح مصر قُطْب الرَّحى في هذه المفاوضات ، برغم عدم سبق الشقيقة الكبرى إلى اعتناق مذهب القومية العربية ، والدعوة له . على ان هذا لم يكن سوى نتيجة طبيعية لبضعة عوامل ، لعلّ في رأسها ان الحركة الوطنية في مصر بحكم وضعها السياسي وظروفها الخاصة ، قد لبثت زمناً وهي تستند في شخص أحد قادتها أو روّادها : مصطفى كامل باشا (مثلاً) إلى ارتباطها بالسلطنة العثمانية (في الوقت نفسه : دار الخلافة أو الامامة العظمى) أو على الأقلّ تحتجّ بهذه الرابطة ، بينما كانت الأقطار العربية الخاضعة عهد ذاك ، لتلك

السلطنة ، تُعاني من جرّاء تلك الرابطة بعينها ، ضروباً من الاضطهاد القومي دفعتها دفعاً عنيفاً في سبيل المطالبة بحقوقها المشروعـة ، كأقوام متميزة بخصائص ، متفرّدة بمصالح ، ثم إلى محاولة الانفصال عن ذلك الجسم « الخليط » ، في كيان سياسي خاص يستقلّ بادارة شؤونه ، وحكومة ذاته . ولقد أتى زمن لم يكن يُنظر فيه ، بعين الرضى أو الارتياح في مصر ، إلى « حركة » الملك الشريف حسين « العربية » لعلة خروجه على الخليفـة العثماني ، كما انه لم يكن يتردد على الألسنة والاقلام ، من التعابير الدالّة على التكتل ، سوى « الجامعة الاسلامية » في الكثير الغالب ، و « الرابطة الشرقية » في بعض المناسبات . لكن ليس في وسع أحد ، نكران ما

تنطوي عليه جميع تلك المظاهر ، من نزعة استقلالية مصرية . وهكذا فلا يُعدُّ من قبيل التبجح قولنا الآن ، ان السوريين واللبنانيين ، سواء أفي مواطنهم أم في مهاجرهم ، وسواء أفي الحقل النظري أم في المضمار العملي ، كانوا إلى عهد غير بعيد ، طليعة العاملين على صب الحركة الوطنية الاستقلالية في البلاد العربية ، في بوتقة « القومية الصرف » التي لا غبار عليها من التفرقة الدينية ، أو الصبغة الاقليمية . . ليس في قولنا اثر للتبجح ، فذاك حادث تاريخي — طبيعي — حتَّمته ظروفنا الخاصة ووضعنا السياسي والاجتماعي ، في داخل البلاد وخارجها . لكنه على كل حال ، مما يحمل على الابتهاج ، ويبعث على التفاؤل ، لأن التكتل في العالم إنما يستوحي في تطوره الأخير ، هذه المبادىء ،

ويمشي إلى هـذه الغايات : ان عالم الغد سيكون
عالم القوميات الحرّة المتضامنة .

ليس من الضروري ان يتفلسف أحدنا ، أو أن يتعرّض لتهمة « التفلسف » ، بل ليس من الضروري أن يكون على رأي من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، في التاريخ والاجتماع ، كي يدّعي بأن للعامل الاقتصادي شأناً أساسياً في حياة الأفراد والجماعات ، يتناول جميع مظاهر حياتهم ومقوماتها . ان أهمية هذا العامل صارت من البروز والوضوح والشمول بحيث يكفي « العقل العصري السليم » ان ينظر ويُفكر فيما حوله ، فيما هو فيه ، حتى يذعن لحقيقة أو لضرورة تفرض كل هنيهة نفسها ، ويُذكِّر كل شيء بها ، في الدائرة الأوسع فالأوسع ، فاذا نحن أخيراً محشورون في تلك الدائرة العالمية

الكبرى ، أو الشبكة المتكاثرة خطوطاً ، المتداخلة المتعاكسة إلى أقصى حدّ . ولقد كان هـذا الشرق الأدنى والأوسط ــ وبوسعنـا ان نسميه : الشرق العربي ــ يؤلف في مـاضيه السحيق والقريب على السواء (وفي حـاضره أيضاً) جزءاً من الأجزاء « الممتازة » بتعقدها في الشبكة العالمية الكثيفة ، تتعدّد فيه الخطوط ، متداخـلة متعاكسة . واكبر الظن انه سيبقى كذلك ، حتى يقضي الله أمره .. فنحن لسنا على مفترق الطرق ، طرق النزهـة والاصطياف ، أو الزيارات الدينية والأثرية ، بقدر ما نحن عند مصطدم المرافق والمصالح الدوليـة الاقتصادية العظمى . ومن المؤرخين الذين يؤمنون بخطر العامـل الاقتصادي ، بأهميته الأساسية في احداث التاريخ الجسام ، حتى هذه التي لا تَمُتُّ في

ظاهرها الى الشؤون أو العوامـل « المادية » بسبب ـ لا تمتّ اليها في الظاهر فقط ـ من اولئك المؤرخين نفر كانوا يطلقون على الشرق الادنى والأوسط ، هذا الاسم الشعري : « الهلال الأخضر » وبالطبع يعنون : الخصيب .. الهلال الأخضر أو الخصيب الذي تنتظم أقنيتُهُ أرضَ الرافدين ووادي النيل ، ثم ما يتَّصل بهما ، أو يقـع بينهما ، من حاضرٍ وبادٍ . وان اولئك المؤرخين ، وهم أبعد الخلق عن التنجيم ، ليعزون إلى الهلال الأخضر ، بعض ، بل أكثر ، بل كل الحركات أو الأحداث التاريخية الكبرى التي لا يندر أن تنشأ ، أو تتولّد في أقصى الأرض ، ولاسيما بعد ان انطوت الصحائف المشرقية من سفر الانسانيـة الكبير .. فمن لي الآن ، بمن يُقرِيء عني اولئك السادة المؤرخيـن السلام ؟ مَن

لي بمن يقول لهم — على الماشي أو على الطاير ، كيف يشاء — : ان الهلال ، ولله الحمد ، لم يزل الهلال الخصيب ، بل لم يكن في زمنٍ أخصب منه اليوم. سوى انه كان الهلال الأخضر ، فأمسى الأسود ، وكان الهلال ذا الاقنية ، فأمسى ذا الأنابيب . لكنه لم يزل ، بفضل النفط العربي ، الهلال الخصيب ، ينتظم هذه المرّة ، الجزيرةَ وشبه الجزيرة ، وما يتصل بهما ، ويقع بينهما من حاضرة وبادية .. لم يتغير شي. ، أو لم يكد : لقد « اصطلح » التاريخ والجغرافيا على ان يجعلانا دائماً وأبداً ، في احدى النقاط المركزية الممتازة الحساسة من التقائهما ، بل من اشتباكهما .

ولا يحملن أحد كلامي هذا ، على محمل تهجم أو تشاؤم ، ولا تذمر أو تنكر . فهذا النفط قد

ظهر في شبه الجزيرة ، حيث تقوم الدولة العربيـة السعودية ، وهي أقرب الدول العربيـة الى تحقيق معاني الاستقلال او السيادة بانواعها . كما انه قد ظهر في عهد ميثاق الاطلسي وتضامن الشعوب ، كثيفها وخفيفها ، صغيرها و كبيرها : عهد يبشر بمنح الامم المغلوبة على أمرها ، حريتها واستقلالها ، على اساس من المصالح المتبادلة والتعاون العادل . ومن يدري ؟ فلعلّ النفط العربي يُحدث في حيـاة هذا الشرق ، انقلاباً من أعظم الانقلابات التي عرفها تاريخه .. على انه في كل حال ، جدير بأن يرسل منذ الآن ، على المشاورات العربية « نوراً ساطعاً » ثم بأن يدفع ـــ اكثر من أي عامل آخر ـــ بالتعاون بين الأقطار العربيـة ، مهما يكن من شكله ، خطى واسعة إلى الامام .

لا أحسب ان احداً تأخذه الدهشة إذا قالت إن شغل اليوم، الذي لا شغل سواه في لبنان، هو الاستقلال. لن تأخذكم الدهشة، كما اننا لم تأخذنا نحن الحيرة. فالاستقلال كلمة لم يهمس بها لبنان في الايام الاخيرة همساً، بل هتف هتافاً.

ليس لبنان عظيماً في رقعة الارض، ولا الشعب اللبناني ضخماً بين الشعوب. لكن لبنان مشى قدماً نحو حريته واستقلاله، في مزدحم الامم الضخمة والدول العظيمة، في سياق تاريخه الدامي، حتى صار له من المؤهلات، ما يجعل ممارسة هذا الحق، كالنتيجة الطبيعية المتحتمة، ثم اصبح الحق «الطبيعي» حقاً شرعياً او رسمياً إذا صح التعبير،

بما قطعته الامم الحليفة على نفسها ونحو لبنان ، من مواثيق وعهود .. كذلك لم يكن لبنان على خطإ ، إذ وقف منذ البداية ، في صف الديمقراطيات الكبرى التي اعلنت على النازية ، وهي شر أنواع الاستعمار ، حرباً لا هوادة فيها ، وإذ ساهم لبنان في هذه الحرب ولا يزال ، مساهمة ذات وزن ، وإذ أدى لبنان ، المقيم والمهاجر على السواء ، قسطه في الجهاد ، عن طيب خاطر ، موفوراً غير مضنون .

وليست اول مرة يهتف فيها الشعب اللبناني لحريته ، ويتنادى لاستقلاله ، ويغضب لكرامته . فهذه الالفاظ الشريفة : الحرية والاستقلال والكرامة ، لم تكن غريبة على جونّا النظري والعملي .. لا ، لكن يخيل الينا ان لهذه الالفاظ اليوم ، صدى بل معنى جديداً ، كأنما كانت في الهواء ، فداخلت وجدان

الامة القومي ، بل كأن الحرية والاستقلال والكَرامة كانت تعني عند فريق شيئاً ، وعند فريق شيئاً آخر ، فاذا بهذه الالفاظ تستردّ اليوم معانيها الصحيحة السليمة ، فتأتلف وتنسجم في فكر واحد ، وشعور واحد ، او بكلمة : في « كيان » واحد . ذلك هو المغزى الجديد الرائع لحركتنا الوطنية الاخيرة . كأنما ولد الوطن اللبناني واستقلاله في وقت معاً .

كان من الممكن ، وسط النزاع الضخم الذي يعانيه العالم منذ خمس سنوات ، كلُّ يوم منها حافل باحداث عسكرية او سياسية خطيرة تتوقف عليها إلى حدٍّ ما ، نتيجة هذه الحرب الكونية العظمى . كان من الممكن ان يقع الحدث اللبناني او ما يشبهه ، ثم ينقضي دون ان يثير في انحاء المسكونة ، ما ملأ الآذان من اصدائه المدوية المتجاوبة المدهشة. ذلك ما كان ، لاول وهلة ، ممكناً او منتظراً ، ولاسيما عند من ينزع فكره إلى تبسط الاشياء ، او يكتفي بظواهر الامور . فاذا بالحدث اللبناني ، على الضد ، يشغل حيزاً « محترماً » من مشاغل العالم الكبرى ، وإذا باخباره تصطدم على موجات الاثير ،

واخبار المعارك الطاحنة في مختلف الميادين ، حتى قال بعضهم ان لبنان ، في تاريخه الطويل ، لم تتداول ذكره الالسنة والاقلام ، بمثل ما تداولته في هذه الايام .

فكيف كان ذلك ؟ ما هو العامل الذي جعل لبنان ، خلال هذه الازمة الكونية العظمى ، في هذه الحقبة القصيرة – الحاسمة – من تاريخه الحديث ، ملء الاذهان والاسماع ؟

لم يكن ذلك على ما نرى ، نتيجة عامل واحد ، بل نتيجة عوامل متعددة . ولعل في رأس هذه العوامل ، لعل اول ما يتبادر منها إلى الذهن ، بتأثير ظروف الحرب العالمية ، ان العلاقات بين الامم والبلدان ، بل بين القارات ، اصبحت من التوثق والتداخل والاشتباك بحيث يكاد العالم باجزائه

المتباينة — مهما تباينت — يؤلف وحدة دقيقة الاحساس ، لم تكن في زمن ادقّ منها احساساً ، كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت سائر الاعضاء . ويزيد هذا الواقع وضوحاً وبروزاً وتمكّناً ، أن العالم المحترب اليوم يعيش في جوّ لا عهد له به ، او بكل عناصره ، هو الجو الذي اوجدته الحركة التحرّرية العامة — العاصفة بالافراد والشعوب — التي تستهدف خلق عالم جديد ، تقوم فيه العلاقات بين الافراد ، وبين الشعوب ، على اسس اقرب إلى الانصاف والحق والخير . ففي جوّ عالمي كهذا الجو ، لم يكن في الامكان ان يبقى الحدث اللبناني حدثاً لبنانياً وحسب . وهكذا كان الحدث اللبناني حدثاً عالمياً أيضاً .

وثمة عامل آخر ، لكنه خاص بلبنان ، لا ينازعه

فيه منازع ، يصح ان نسميه « الاشعاع اللبناني » .
تلك المزية التي عُرف بها لبنان ، من اقدم عهوده التاريخية ، والتي يصعب معها الادعاء بأن لبنان منحصر ضمن حدوده الجغرافية . فالابجدية هي من الاشعاع اللبناني . ومن الاشعاع اللبناني أيضاً هذه المادةُ السخية التي لا تفتأ تغذي بالهجرة ، كل بقعة من بقاع الارض ، حتى ليمكن القول ان لبنان شبكة مطروحة على العالم تنتظم أجزاءه ، بل هناك لبنانان لا لبنان واحد : لبنان المقيم ، الرابض بين تخومه ، ولبنان المهاجر ، الموزّع في الدنيا .

ونحن على مثل اليقين من انه قد كان لهذا العامل الاخير ، في جعل الحدث اللبناني حدثاً عالمياً ، اعظم الأثر : نعني ان لبنان مدين في الدرجة الاولى لنفسه .

لبضع سنوات خلت ، اتخذ فريق من أبناء هذا البلد ، موقفاً صريحاً في صف الامم المتحدة ، وجعلوا يشتغلون تارة في « مكافحة النازية والفاشيّة » وتارة أخرى في « مصادقة الاتحاد السوفياتي » أو في كلا الامرين ، في وقت معاً . ولقد كان يخيل الى اكثر العوام ، وإلى بعض الخواص ، ان هؤلاء النفر ليسوا سوى شعراء يعيشون في المريخ ، أو تجار تخصصوا للبضاعة الاجنبية .. أي انهم ، في كل حال ، مصابون بمسّ من الانحراف الفكري أو المسلكي ، يصرفهم عن الحركة الوطنية الصحيحة التي يتمخض بها لبنان وسائر الاقطار العربية .

لست أدري — ولا يهمني كثيراً ان أدري —

ما يقوله الخاصة الآن . لكن احب ان اعتقد ان العامـة — اي السواد الاعظم — قد غيروا شيئاً من رأيهم ، وعدّلوا بعض انحرافهـم ، بتأثير تلك الخبرة المباشرة للحدث اللبناني الاخير ، الكبير ، الذي كانوا هم مادته الحية ، بلا مراء .. فالحركة الوطنية الاستقلالية في لبنان ، بما احدثته من ردّ الفعل في انحاء المسكونة ، وبما احرزته من توفيق في الناحيتين النظرية والعملية ، اقامت الدليل — دليلاً جديداً — على ان اولئك « الشعـراء » لم يهاجروا إلى المريخ في حين ، او ان اولئك التجار لم يتعاطوا يوماً « البضاعة الاجنبية » . لقد كشفت هذه الحرب العالمية عن ثلاث او اربع حقائق كانت غامضة ، وكان يزيد في غموضها تعامي اهل النظر

عنها . واقرب تلك الحقائق الينا عهداً ، وامسها بنا صلة ، هي ان لبنان جزء من العالم ، فلن يسعه ان يخرج منه ، وان مصير لبنان متوقف إلى حد بعيد ، على نتيجة الحرب ، فما من سبيل إلى فصل مصيره عن نتيجتها . ان هذه الحرب العالمية كانت حربنا ، كما ان السلم العالمية ستكون سلمنا نحن ايضاً . تلك « حقيقة لبنانية » لا يصح ان نغفلها او نتغافل عنها ، فما من شيء في العالم لا يعنينا ، سواء أرضينا ام لم نرض ، وعلمنا ام لم نعلم .

على ان تلك « الحقيقة اللبنانية » التي اشرت اليها ، ليست في الواقع الا انعكاساً لهذه « الحقيقة العامة » المزدوجة ، التي اصبحت من الوضوح والقوة بحيث يصعب نكرانها او تجاهلها — نعني ان الحرية في العالم هي ، كالسلم ، وحدة لا تقبل

التجزئة . فمن ميثاق الاطلسي الى مؤتمر طهران ، نرى الخطوط التي سيتألف منها عالم الغد ، ترتسم في أفق الوجود ، بأجلى فأجلى ، وأبرز فأبرز . ولا يدهشنَّ احداً قولنا اليوم ان اشتراك الاتحاد السوفياتي في ذلك « التكوين » الجديد يعتبر ضمانة جديدة متينة العرى . فالاتحاد السوفياتي قد بنى سياسته الداخلية والخارجية على اصرح مبادىء الحرية القومية . ناهيك بحركة التحرر العاصفة بضمائر الشعوب وعزائمها ، في مشارق الارض ومغاربها .

نحن لا نحب ان نُحشر في زمرة المتفائلين الحمقى ، كما اننا لا نرضى ان نُعدّ في المتشائمين الذين هم احياناً اشد حماقة ، برغم كل الظواهر . لكن لا نُدحة لنا ولسائر الشعوب الصغيرة المستضعفة ، عن مواجهة هذا الامر البديهي ، وهو ان احدى

الضمانات الاساسية لاستقلال لبنان الصحيح ، وتمتعه
بجميع حقوقه وحرياته ، هو استقرار النظام العالمي ،
على دعائم راسخة من احترام حريات الامم وحقوقها
وامانيها المشروعـة . في مثل هذه البيئة العالميـة
« السليمة » يحيا الاستقلال اللبنـاني ، وينمو ،
ويبلـغ اشده ، فيؤدي اللبنـانيون قسطهم ، مرة
اخرى ، في بناء الصرح الانساني العام .

يوجد بضع حقائق لا يحتاج المرء في معرفتها إلى كثير من الذكاء والألمعية : يحسبه شيء من الفكر والرَوِيّة . نحن لا نعني هنا « حقائق علمية » بالمعنى الاصطلاحي المحدود . إنما نعني « حقائق إنسانية » لم تخرج — أو لم تكد — من نطاق الحوادث ، ويمكن القول إنها في متناول كل منا ، كل ذي فكر سليم ، يستخدم فكره السليم حيناً بعد حين ، ويعمل الروية في ما يريده ، ولا سيما في ما يُراد به . وليست هذه الحقائق ، لقلة ما تجري على الألسنة والأقلام ، بمبتذلة ولا رائجة ولا متداولة . هي من الحقائق المغمورة المطموسة التي تحملنا بسهولة ، على الاعتقاد بان أحداً لم يسبقنا إلى معرفتها ، بل كنا

نحن السابقين إلى كشف القنـاع عن وجهها ، أو اطلاقهـا من سجنها . ولا بأس بذلك ، فانّ من الحقائق « الانسانية » ، ما يجمل بالانسان ان يعرفه بما يشبه « الخبرة الشخصية » . وعلى كل ، فليس لمن عنده مسكة من عقل ، ان يلتمس هذه الحقائق وامثالها في كتب المعـارف « التوجيهية » ناهيك بكتب التاريخ ، لسبب بسيط هو ان المعـارف « التوجيهية » لم توضع لهذه الغاية ، أي « توجيه » الشعوب نحو معرفة الحقائق ، بل بالضد . ولماذا ؟ لسبب بسيط ايضاً هو ان الحقائق التي أشرنا اليها ، كانت ، ولم تزل ، تعدّ حقائق خطرة ، تدور حول علاقة الناس بعضهم ببعض ، وحول علاقتهم جميعاً بما يقتنون أو يملكون (ويدخل فيه المنقول وغـير المنقول من المـال ، والثابت وغير الثابت من

الامتياز) ، وكذلك حول علاقتهم بذلك الشيء المشترك ، أو على الأقل : المفترض انه مشترك ، نعني : الحكم وما يتناوله من توزيع الحقوق والتكاليف ، والمغانم والمغارم ، وهلمجراً .

لكن قبل التبسط في الموضوع ، أُحب أن أُمهد له بأبيات من الشعر ، ومن شعر المعري الخالد . فأولاً : ان المعري جاء بعد الف من السنين ، يُظلّ هذه السنة التي نحياها ، فأحالها واحة من واحات الفكر . وثانياً : نحن أُمةٌ نُحب الشعر ، كما هو مشهور ، ونتذوقه ، وقد يكون فهمنا إياه أيسر وأجود من فهمنا أي شيء آخر ، أللهمّ ما خلا التجارة .. لكن الحالة الراهنة عندنا جديرة بان تنفي — ان شاء الله — كل تناقض ينشب بين الشعر والتجارة ..

لأبي العلاء المعري بيتان سمعناهما وقرأناهما لمناسبة عيده الألفي ، الف مرّة ومرّة . وما إخالنا بلغنا منهما حدّ التخمة ، كأننا أبداً في جوع وظمأ إلى إنشادهما أو سماعهما . ذاك قوله :

مُلَّ المقام ، فكم أُعاشرُ أُمّةً
أمرت ، بغير صلاحها ، امراؤها !
ظلموا الرعية ، واستجازوا كيدها ،
وعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها .

ويستنتج العلامة الدكتور طه حسين من هذين البيتين ان المعري « لا يرى الملك ولا وراثته ، وإنما يرى الانتخاب والبيعة ، كما يراهما الجمهوريون . » سوى ان صديقنا البحّاثة الدكتور عُمر فرّوخ يعجب كيف فهم صاحب « الذكرى وتجديدها » من هذين البيتين ، معاني البيعة والانتخاب ومبادىء الجمهوريين

«إلاّ ان يكون قاده الى ذلك لفظة : امراؤها . ولعلّه لو أنعم الفكر في الكلمة ، ثم قرأ البيت الثاني بأيسر قراءة ، لتبيّن له وراء كل ريب وشك ، ان أبا العلاء يهاجم هنا جميع الحكّام ، اورثوا الامر ، أم اغتصبوه ، أم حُملوا اليه على الاكتاف .»

ليس من قصدنا الوساطة بين الدكتورين الفاضلين ، وهما مَن لا يُخشى — ولله الحمد — ان تضيع الحقيقة بينهما . على ان ما يهمنا من شعر المعري هو مدلوله الطبيعي — إذا امكن القول — مدلوله القريب الذي نرجو ان لا يكون موضع اختلاف ولا تأوّل . اما ما قد يستقر في «مؤخرة» رأس المعري ، فهو ما لم نؤت علمه . واكبر الظن اننا إذا زعمنا اثباته ، لم تكن قصارانا الا ان نثبت ما في «مقدّم» رؤوسنا .. ذلك المدلول الطبيعي

القريب هو انّ الحكام ، سواء اورثوا الحكم (والوراثة ضرب من الغصب) ام حُملوا اليه بالبيعة (والبيعة ضرب من الانتخاب) هم « اجزاء الامة » في عقل المعري الظاهر والباطن على السواء . ذلك هو الامر الجوهري الذي لا نريد ان يضيّعنا عنه مضيّع . اما يكفي انهم كثيراً ما يضيعوننا عنه بالفعل ، حتى نضيّع عنه أيضاً بالقول ؟

إذا نحن سلّمنا عن طيب خاطر، بان الاستقلال « شيء يؤخذ » مبدئياً ، فيجب ان نسلم ايضاً بهذه الحقيقة التي ليست دون الحقيقة الاولى ، لا بداهة ولا خطورة — بل على الضد — وهي ان الاستقلال « شيء يحقق » عملياً . في هذا « التحقيق السملي » حفظ الاستقلال وضمان دوامه وتثبيت دعائمه ، فلا يبقى موضع نظر او اعادة نظر ، لا في انفسنا ، ولا عند غيرنا ، اي بعبارة أخرى : لا في داخل ، ولا في خارج . ولا نُدحة في ذلك عن ان يستوفي الاستقلال شروطه ، كل شروطه ، المادية والمعنوية .

وصحيح ان للاستقلال شروطاً معنوية او روحية لا غنى عنها ، كالشعور الوطني وروح التضحيـة

والارادة المشتركة وحسّ التضامن القومي ، وما إلى ذلك . صحيح ان الاستقلال يستلزم ، كي يعيش وينمو ويبلغ اشده ، هذه « البيئــة المعنوية » . صحيح ان تلك القيم لا بد منها في حياة الامم . لكننا بفطرتنا او ، وهو الاصح ، بحرماننا التقليدي الطويل ، من ممارسة الحريات العامة ممارسة فعلية ، ومن التمتع عملياً بنعم الحياة الاستقلاليــة ، ميالون إلى « تعاطي » هذه القيم « الروحية » وادمانها ، إلى حدّ يوهم اننا في غفلة عميــاء عن تلك الشروط او « البيئة المادية » التي لا يمكن ان يحيا استقلال ، وأن يُضمن بقاؤه او تُثبت دعائمه ، الاّ بها وفيها . على ان الشروط المعنوية نفسها متوقفة على الشروط المادية ، مذعنة لها بالدرجة القصوى ، وليس يصح تماماً قول العكس . فالشعور الوطني وروح التضحية

والارادة المشتركة وحسّ التضامن القومي لا تتولد من ذاتها ، في الهواء ، تولداً فطيرياً ، بل تعوزها الاوضاع الملائمة ، والمؤسسات اللازمة .. يعوزها ، اقل ما يكون : كتاب ومعلم ومدرسة وطلاب . الكتاب يحتاج إلى اختصاصي يؤلفه ، ثم إلى معلم يعلِّم به . والمعلم يحتاج إلى مدرسة يدرس فيها ، والمدرسة تحتاج إلى طلاب في وسعهم ان يؤموها . ولقد يمكن ان تُحشر هذه الاشياء جميعاً في صف القيم المعنوية او الروحية ، لكن بعد ان تصنع ، وتوجد الشروط الضرورية لصنعها . اما قبل ان تصنع الاشياء وتتوافر شروط صنعها ، فلا مناص من ان تعامل « معاملة » القيم والشروط المادية .

لسنا في معرض المقايسة او المفاضلة بين طائفتين من القيم : المادية والمعنوية ، في حياة الافراد

والامم . على انه إذا كان ثمة مجال للمفاضلة بينهما موضوعياً وذاتياً ، فلا مسوّغ للمفاضلة ، لا عملياً ولا اجتماعياً .. انما اردنا التنويه بارتباط بعضهما ببعض ، بل بملازمة بعضها لبعض . أردنا الاشارة إلى وجوب العناية بحياتنا الاقتصادية ، والاهتمام بمستقبلنا الاقتصادي . ولنضرب مثلاً : معيشتنا اليومية . فنحن لا نعرف السبيل ، لا نظرياً ولا عملياً ، إلى « الترفع عن الدنايا » التي تتألف منها «حياة» كل يوم . وعلام هذا السمو بانفسنا ؟ أيقال فقط انا قد تبعنا نصيحة يمنّ بها فريق من المواطنين الكرام ، ليس يكفيهم الجمع بين تلك الاسباب ، بل هم يحرصون أشد الحرص على ادخارها ؟

الاستقلال مثل اعلى ، اجل . لكنه كسائر المثل العليا ، لا بدّ له من جناحين يطير بهما ..

ليس الاستقلال كرة يتقاذفها لاعبون ، مهما أفرغوا في ذلك من جهد ، واصطنعوا من جدّ ، وسواء ألزموا القواعد المحترمة في اللعبة ، أم تجاوزوا حدودها وخرقوا حرماتها .. ولأبادرْ إلى القول إني لا أحمّل هذه الصورة « الرياضية » آية إشارة إلى الخلافات والمنافسات، ما كان منها طارئاً أو مزمناً ، طبيعياً أو متكلفاً . كما اني لا اعدّ نفسي مسؤولاً عمّا قد يرد على الخاطر ، من شتّى التأويل ومختلف النتائج .. صحيح ان الصورة خصبة غنية ، تتسع لأكثر من تفسير أو تخريج واحد .. (بدا لي هذا منذ جرت الصورة على قلمي ، فأخذت أفكر فيها وأقلّبها على وجوهها العديدة ، ثم امسكت ، مخافة ان

أتوصّل أخيراً إلى ما لا تُحمد عقباه ..)

لكن أردت — ولم ارد أمراً آخر — ان الاستقلال ما كان ، ولا يصحّ ان يكون ، معنى قائماً بذاته في دنيا القيم النظرية ، منفصلاً عن البلد المستقلّ أو — وهو الأقرب إلى الصواب — عن أبناء البلد . فضلاً عن ان الاستقلال ما كان ، ولا يصحّ ان يكون ، لفظاً من هاتيك الألفاظ الطنّانة التي تدلّ على كل شيء ما خلا الواقع والحقيقة . لا ، فالاستقلال مادّة حيّة ، أو هو جسم يستمدّ الحياة من لحم الأُمّة ودمها . ومن ثمة أيضاً يستمدّ القوّة والبقاء . ولست أعني بهذا ان الشعب هو الذي يقدّم في الأزمات الحادّة قرابينه ، ذوداً عن الاستقلال ، أو يفتديه بافراد منه في ساعات الخطر ، بقدَر ما أعني ذلك المدد « الجمهوري » المستمر ، من

النشاط والتضحية ، في الحالة الطبيعية ، في سياق الحياة العادية .

ان الوطن اللبناني قد استتمّ ، أو كاد ، حدوده الدولية أو الدبلوماسية ، باعتراف الدول الديمقراطية الكبرى وجاراته العربيات بهذا الاستقلال . وكان طبيعياً ان تُخص تلك الناحية من الوضع الجديد ، بما خُصت به من الاهتمام والعناية ، خلال عام ونيف . لكن من الطبيعي ان لا نغفل في الوقت نفسه ، عن هذه الحقيقة ، وهي ان الاستقلال ليس وضعاً خارجياً دولياً وحسب ، بل هو أيضاً وبالدرجة الاولى ، وضع داخلي شعبي . فان أوثق ضمانة لاستقلالنا هي ان يحسّ الشعب احساساً مباشراً حياً بأن هذا الوطن الذي « ينعم » اليوم

بالاستقلال ، هو له ، هو وطنه ، « ينعم » هو بخيراته – وليس لافراد أو فئات منه ، كل شيء يتبدل في الدنيا وهم لا يتبدلون . فقد نسلّم بأن الوطن اللبناني ينعم بالاستقلال « مجازاً » . إنما الذي يمكن القول انه ينعم بالاستقلال « حقيقة » فهو الشعب اللبناني .. على انه ليس بكافٍ ان يقال هذا للشعب حتى يخفّ إلى التصديق .. فالشعب اللبنانيّ اليوم يطمح إلى ما وراء القول : الشعب اللبناني الضمانة الباقية ، إذ كل ضمانة سواها عرضة للزوال ..

.. الشعب اللبناني ، الضمانة الاولى والاخيرة — الضمانة الباقية — للاستقلال وللكرامة الوطنية .
وبعد ، اليس هذا الاستقلال وهذه الكرامة الوطنية الملازمة له ، واسطة لا واسطة سواها ، إلى الغاية التي لا غاية وراءها ، وهي ان يحيا الشعب اللبناني حياة سعيدة ، في أرضه العزيزة ، متفيئاً ظلالها ، ناعماً بخيراتها ؟ ان استقلال الوطن اللبناني يتوقف ، إلى مدى بعيد ، على استقلال الشعب اللبناني ، وتمتعه بحرياته المدنية والسياسية ، تمتعاً صحيحاً .
ومتى قلنا : الشعب اللبناني ، فلا بدّ من ان ندخل في الحساب ، جماهيره العاملة المنتجة ، في كل ميادين العمل والانتاج — نعني : السواد الاعظم الذين هم ،

بفضل انظمتنا الحاضرة ، بعيوبها الاصيلة وعيوب تطبيقها ، يحسون احساساً بليغاً بانهم بعيدون جدً البعد ، من ان يحققوا في انفسهم ، معاني الاستقلال والكرامة .. فليس يجدي الوطني شيئاً أن تُعلن حقوقُه وحرياته ، اذا لم يُعط في الوقت ذاته ، الوسائل الضرورية لممارسة تلك الحقوق والحريات : انها تبقى هكذا حبراً على الورق ، بل كتابة على الماء . ومن البديهي ان هذه العناصر الشعبية لم تكن ممثلة ، على صورة ما ، في جهاز الحكم اللبناني ، لا مباشرة ولا بالواسطة . وتأويل ذلك بسيط غاية في البساطة : ذلك ان جميع القوى تضافرت ، خلال الانتخابات الاخيرة ، على عزل تلك العناصر وتنحيتها ، ويجب القول إنها قد وفقت كل التوفيق . لكن تُرى ، هل يظل لبنان في معزل عن الحركة العظمى

التي تغمر العالم ، حركةِ القوى الشعبية المتصاعدة ، حتى تسدَّ الافق ؟ اكبر الظن أن هذا لم يبق في الامكان ، ولا سيما بعد ان اثبت الشعب اللبنـاني نضجه السياسي ، ووعيه الاجتماعي ، ورغبته الصادقة في ان توجد لمشاكله الحيوية ، الحلول الملائمة . ونحن احرياء ، منذ تحققت امنية الوطن اللبناني في الاستقلال والكرامة ، بأن ننتظر تحقيق اماني الشعب اللبناني في استقلال جماهيره العاملة المنتجة ، وفي « مراعاة كرامتها الانسانية ، بتوفير الاسباب لتمتعها بالحقوق ، كل الحقوق ، وبالحريات ، كلِّ الحريات .

كل شيء يؤذن بوشك انتهاء الحرب ، وبانتهائها على ما نشتهي ونريد . لم نكن بحاجة إلى هذا البرهان الأخير كي تطمئن نفوسنا : إنارة البلد . على انه ، والحق يُقال ، برهان « ساطع » .. ان هذه العبارة « البرهان الساطع » قد استعملت في معميات كثيرة ، كان البرهان الساطع يزيدها تعمية في بعض الأحيان . وكأنها ظلّت مئات السنين تنتظر ، حتى استعملت الآن في الموضوع الذي خُلقت من أجله . ان إنارة البلد لبرهان ساطع على وشك انتهاء الحرب ، وعلى انتهائها كما نشتهي ونريد . فالعدو الألَدّ أمسى عاجزاً عن ان ينالنا بسوء . ولا ننسَ انه يوجد نوع من الخلق ما كانوا ليؤمنوا

إلاّ بهذا النوع من البراهين .

ـ أأنت تقضي سهرتك هنا ؟

هكذا تكلّم صديق غاب عني نحو اسبوعين ، وقد رآني جالساً على الفرندا في فيض من النور .

أجبت : نعم ! هو كما ترى . وأنا أقرأ اليوم (سقط الزند) للمعري ، وشرحه (ضوء السقط) ، وشرح شرحه (التنوير) . أريد أن أثأر لنفسي من تلك (اللزوميات) التي قضيت فيها سني الحرب بطولها ، ملتمساً النور في « تعتيمات » شيخنا الأعمى رحمه الله . ثم لا تنسَ ان المعري هو القائل :

ليلتي هذه عروس من الزنـ

ـج عليها قلائـد من جمان

.. إذاً لأيام خلت ، كنا في حالة يسمونها تارة : التعتيم ، وتارة : خنق الأنوار . ان في

خنق الأنوار معنى ، بل زيادة معنى ليست في التعتيم ، هو معنى العنف الذي يُلابس الأجرام : خنق النور ، وخنق العلم ، وخنق الحرية ، وما أشبه . ويدلّ في الوقت نفسه على الحالة الروحية الناشئة عن ذلك التعتيم الذي لا أجد ما اصفه به إلاّ انه ، في عصر النور هذا ، ظلام « مصطنع » . و كذلك هم يسمون الدهان الذي يُطلى به زُجاج النوافذ « تمويهاً » .

يحكى ان اعرابياً أعور أُصيبت عينه السليمة بحجر ، فوضع يده عليها وقال : « الحمد لله ! أمسينا . » يريد انه دخل في العتمة التامة ، او بعبارة أُخرى : اصابه العمى ، كما أُصبنا نحن بالتعتيم ، خلال هذه السنوات الخمس التي جُردت فيها الزنجية الحسناء ، دون حياء ، من حليّها الوضاءة ، وهي كل ثيابها .

لقد حرمتنا الحرب ممارسة حريات متنوعة ،

وكانت أول حرية ابيحت لنا حرية التنوير ، وهي الحرية التي تهمّ الحرب مباشرة ، بلا مراء . واكبر الظن ان ستتبعها سائر الحريات التي لا علاقة لها ، قريبة او بعيدة ، بميادين القتال وسلامة القواعد ، وانما تنسبها السياسة إلى الضرورات العسكرية ، على سبيل الاختصار ، او حسماً للقيل والقال . وهكذا فان الاعضاء الزائدة في الجسم الانساني ، تبقى بعد ان ضاعت وظائفها ، لكنها هنا تؤدي من الوظائف غير ما وُجدت له . وبالامس طالب فريق من افاضل النواب برفع المراقبة عن الصحف . ومما هو حريّ بالانتباه ان الاقتراح جاء خلال نقاش دائر حول الحملات التي يكون المجلس النيابي عرضة لها من وقت إلى آخر . فاثبت النواب انهم لا يخشون العدو الوهمي ، كما اثبت الدفاع السلبي اننا

صرنا في نجوة من غارات النازي المتخاذل . فطلبوا الغاء هذا الضرب الآخر من التعتيم الذي يدعونه بالمراقبة . عسى ان يسير عهدنا الاستقلالي الديمقراطي نحو اكثر فاكثر ، من الحرية والنور .

لمّا تسلم الجانب اللبناني من الجانب الفرنسي ، في احتفال رائع وصفه الواصفون ، طابوراً من القناصة ، كما تُردّ الامانات إلى اهلها ، جالت الالسنة والاقلام في موضوع الجيش الوطني . ولا غرو فهو حقاً موضوع جدير بأن تجول فيه الالسنة والاقلام ، بل لعله اجدر المواضيع بالاكثار من التحدث عنه ، وبالافاضة في شأنه ، وتقليب وجوهه العديدة . ان المتحدثين كلهم نظروا في الموضوع من ناحية او نواح معينة ، فألقوا عليها نوراً كاشفاً . لكنهم جميعاً كانوا يخلصون الى مثل الغاية الواحدة ، فتمتزج الاشعة في « شلة » من الضياء واحدة . وغنيّ عن البيان ان هذه الاحاديث ، على بكرة ابيها ، كانت

تنبض بشعور الغبطة العميقة الشاملة التي تخالج قلب كل لبناني، كلما رأى بعيني رأسه ، استقلال الوطن يستتمّ تدريجاً شروطه ومقوماته ، كشخص الحبيب تنحسر عن ملامحه الوسيمة ، رويداً رويداً ، عتمة الخفاء . وبديهي ان تلك الغبطة العميقة الشاملة ما كانت ولن تكون وقفاً على الكتّاب والشعراء ، وإن يكن هؤلاء يجيدون اكثر من غيرهم ، وصفها والعبارة عنها والاشادة بذكرها .. ليؤذن لي انا ايضاً ان اقول كلمتي في الموضوع .

لكل امرىء هوى ، بل هوس يملك عليه لبه وشعوره ، يقيمه ويقعده ، يلازمه في جميع حالاته ومواقفه ، حتى ليحسب عارفوه انه ، وهو الكائن المركب ، قُدّ قطعة واحدة ليست تتحرك بسوى حركة تشنجية لا تبديل لها . فانا — ولا بأس بأن

اتعرض لتهمة البساطة التي لا بُرْء منها — هواي او هوسي فيما يدعونه : الوحدة الوطنية . لكن يعزيني عن هذه البساطة المملّة امران : اولهما ان ما اسميه هوساً ليس في غير موضعه ، ليس من الامور التي لا موضوع لها . فالوحدة الوطنية لم تتحقق بعد ، وان يكن الشعب اللبناني قد خطا نحوها خطى واسعة . وثانيهما ان هوسي هذا ليس منحصراً بي ، مقصوراً عليّ ، وإنما يشاركني فيه ، وفي الاذعان له ، وفي معاناة لجاجه ، اكثر اللبنانيين ، كلما رجع واحدهم الى ذاته ، يتدبر شؤون بلده العامة ، في ماضيه وحاضره ومستقبله على السواء .

وهناك حقيقة لست أجد بُدّاً من الجهر بها ، وإن يكُن من شأنها ان تَفجع نفراً كبيراً من خاصة اللبنانيين ، من النخبة الصالحة أو قادة الرأي ، كما

يسمونهم — تفجعهم في ما هو أعزّ شيء لديهم ، أعني : ما يرسلونه نثراً ، او ينظمونه شعراً . تلك الحقيقة هي ان الوحدة الوطنية التي نرجو ان تتحقق في الشعب اللبناني ، والتي تنعدم أو ، على الأقل ، تنسجم فيها الفوارق الجنسية والطائفية بين العناصر المؤلفة لهذا الشعب — ان الوحدة الوطنية لن تكون من صنع هذه النخبة الصالحة : الشعراء والكتّاب والخطباء .. لسوء الحظ ! إذ لو كان هكذا لكان الأمر أيسر وأقصر سبيلاً . فالشعراء والكتّاب الذين تكفيهم الدعوة إلى الوحدة ، يقين انها تتحقق بمجرّد الدعوة اليها ، إنما هم خادعون ، أو مخدوعون وهو الأرجح: انهم يؤخذون بسحر كلامهم . — كم وعظَ الواعظون منّا ! . — كما قال المعري منذ الف سنة .

ان الوحدة الوطنية لا تتحقق إلاّ بشرائع تُسَن

وتُنفذ ، ومُنشآت تقام ويُعنى بها . ان الوحدة الوطنية يعوزها مصنع : المصنع الذي ينتجها كما تُنتَج الامتعة المادية ، كما تُصنع عملياً . واني أدلّ الآن على مصنعين اثنين (لا على مصنع واحد) يصحّ ان يتعاونا على صنع الوحدة الوطنية ، هما حقيقان بصنعها ، كما يُصب الفولاذ : الثكنة والمدرسة.

الثكنة والمدرسة .. لكن بشرط ان لا تقوما على هذا الأساس « المزمن » الذي تقوم عليه حياتنا العامة والخاصة ، وهو ما يسمونه « الطائفية البغيضة » . بالطبع ، وإلاّ فذاك من قبيل تحصيل الحاصل ، أي لا شيء .

لقد اصبحنا ولنا طليعة جيش .. عسى ان يكون لنا أيضاً في القريب العاجل طابور كامل العدد والعدة من المعلمين .

دُعيتُ في اواخر الصيف الماضي ، الى سماع محاضرة من احد قادة الرأي عندنا . وكان العنوان مغرياً ، يثير في النفس شعوراً هو اعلى من الفضول مرتبـة ، واطيب عنصراً ، فجئت استمع . كان الحضور لا يزيدون عـلى المائتين عداً ، لكن من النخبة التي لا يعدمها احتفال ، مهما يكن نوعه ، في قرية من قرى الاصطيـاف ، يتوافدون عليه رجالاً ونساء ، من المحلة ذاتها ومن المحلات القريبة ، ثم ينصرفون بعد ساعة مـن الزمن ، راضيـن مطمئنين إلى انهم لم يضيعوا ثلاثة اشهر بكاملها ، بل اهتموا ايضاً لما يحسن الاهتمام له من الشؤون التي تتجاوز دائرة الحياة اليومية ، او تسمو عنها .

وُيقبِل الجنس اللطيف على امثال هذه الحفلات ، بنسبة « محترمة » ، كأن النساء اعظم حاجة الى ذلك اللون من راحة الضمير ..

كان في الحضور وجوه عرفتها جيداً في العاصمة ، استرعى انتباهي ان نفراً منهم يعاملون المحاضر كأركان حرب القائد . وقد نُصب المنبر وُصفت المقاعد في الخلاء ، وسط ملعبٍ يملأ الفراغ المنبسط من الكَنيسة القديمة الى النادي الجديد . وهذا الملعب بين الكنيسة والنادي ، او بين كنيسة ومدرسة ، « مشهد » تكاد لا تخلو منه قرية تحترم نفسها ، من قرى المتن . ثم تصوروا المشهد بتمامه ، ونحن منه ، في اطار فخم من مفاتن الجبال والاودية !

كان موضوع المحاضرة : لبنان والشعب اللبناني .

وبالطبع : في الماضي والحاضر والمستقبل . ذلك ان هـذه الثلاثة تمشي في بلادنا ، وفي خطب خطبائنا ، كأسنان المشط . وقد يدوس بعضها على اقدام بعض ، في الزحمة .

لا شك في ان ما قاله الخطيب يومذاك ، كلّ ما قاله ، هو الحقيقة . ولكنه ليس كل الحقيقة . فهو لم يتحدث في الواقع إلاّ عن جزء من لبنان جغرافيـاً وتاريخياً ، وإلاّ عن فريق من الشعب اللبناني اجتماعياً وسياسياً . وكان حنينه الى الماضي اشدّ منه الى المستقبل ، لا يفتأ يتلفّت نحوه ، مولياً إياناً ظهره . . كنت وانا استمع اليه ، إخال ان الوطن اللبناني ليس في فكره (الظاهر والباطن ، ولاسيا الباطن) سوى ذلك الجزء من اراضي الجمهورية اللبنانية ، برغم « الحدود الحاضرة » ، كما ان الشعب

اللبناني ليس سوى اهل ذلك الجزء ، دون غيرهم ، برغم « تذاكر الهوية » .

ولست أدري كيف ملت بنظري يَسرة ، فاذا على سطح بيتٍ قرويّ تفصله عنّا الطريق ، على مسافة عشرين ذراعاً ، شخصٌ ماثل كالصنم ، لا يتحركُ فيه عضو ، اسند يده الى سطح البيت المجاور ، وكأنه يصغي بكليته الى الخطيب .. وكانت الشمس تدلف الى مغربها ، مطرّزة بالذهب الاكمة البعيدة .. فشُغلت وقتاً بالتساؤل عن ذلك التمثال ، كيف ولماذا نصب على سطح بيت ؟ ثم رأيته يتحركُ للتصفيق ، فينقلب قروياً بثيابه « العربية » وقف يشهد الحفلة ، ويسمع الحديث . ولا عجب ، فقد كان الخطيب آنذاك يختم باللازمة الحماسية التي لا يستغني عنها قائل وسامع ، على

السواء .. وانفضّ المجلس .

وأنا ما شأني هُنا ؟ لقد أمسيت بعد تلك المحاضرة ، خارج الحدود جغرافياً ، وخلف الأمجاد تاريخياً — على هامش القصيدة العصماء . وأخذت اترقب بوجل ، ان يأتيني ، بين هنيهة وأخرى ، موكَّل بنزع الهويات الزائفة أو المستعارة ؛ لا يَرق ولا يرحم .. ولماذا ؟ لا لشيء ، سوى انني ، فيما غبر من القرون ، لم يتح لي القدر ان اعتصم بشعاف الجبل حرصاً على الحرية ، حيث استنبت الصخر طلباً للرزق .. إنّ هذا لأمر عظيم حقاً ، لكن ليس لي فيه يدان ..

لست اذهب إلى إتهام الخطيب بانه ، فوق هذا ، لم يَعنِ من أبناء ذلك القسم من الجمهورية الواسعة ، غير « طائفة » بعينها ، لا اكثر ولا أقلّ .. لا ،

لست أذهب إلى هذا الحد ، وان يكن خبيث من طائفة اخرى قد وسوس إليَّ بالملاحظة غامزاً .. فأنا لم اؤت حسه الطائفي الدقيق . ولابادرْ الى القول منذ الآن ـ أثمة اليه حاجة ؟ ـ اني برغم كل شيء... وانفِ صديقي الذي يشمّ من اقصى الارض ، لمن اصح الناس تقديراً للصورة اللبنانية التي يشفّ عنها كلام الخطيب ، ومن اصدقهم اعجاباً بالمعجزة التي ظهرت على ايدي سلفه الصالحين . لكن ليؤذنْ لي ان اقول ايضاً ان تلك الصورة ، على روعتها ، ليست كل لبنان ، كما ان ذلك الضرب من الخوارق ، على جلالته ، لم يكن عاماً في الشعب اللبناني . ان ما ذكره خطيبنا القح هو الحقيقة ، لكنه ليس كل الحقيقة : لقد اخرج من الدائرة بضع حقائق ، كل واحدة هي من نوع حقيقته ، وان لم يكن لها

جمالها او روعتها .. اخرجها جملة ، دفعة واحدة .

والآن ، ما أنا بتاركم طويلاً ، تنتظرون على احرّ من الجمر ، حتى اعلن على رؤوس الاشهاد ، ان لتلك النغمة « الخاصة » جواباً من « القرار » بعينه ، في الجهة المقابلة ، في الجهات المتقابلة ، يُهتف به هنا وهناك وهنالك ، هتافاً ليته يخدش آذان الهاتفين ، بقدر ما يصمّ آذان السامعين ! إذاً لاضطروا بحكم « حسن الجوار » إلى شيء من التؤدة . سوى اننا جميعاً مأخوذون بلذة الازعاج والنكاية .. ينبغي ان نبادر إلى اعلان هذا الحكم الصريح ، وإلاّ كنا عرضة للتهمة ذاتها ، او بالفعل مصابين بالعاهة نفسها . على ان ما في هاتيك النغمات من الحقيقة « الخاصة » ليس دون ما تكلّم عنه ، او أشار اليه ، او عناه ، خطيب الحفلة .

وهكذا تنعدم الحقيقة ، الحقيقة الحقة ، الحقيقة اللبنانية ، بين انصاف حقائق ، كل نصفِ حقيقةٍ منها هو في موضوعنا ، خطأ محض . فان نصف الحقيقة خطأ تام ، وليس في الامكان ان يُجمع بين انصاف الحقائق ، على شكل اصطناعيّ او نظري ، لتؤلف منها حقيقة تامة ، اي حقة . كما ان مسخين يكشر احدهما في وجه الآخر ، وهو رافع عقيرته بالغناء ، لا يؤلفان انساناً بهيّ الطلعة وسيماً ، حتى ولا خلقة طبيعية . ان المسخين اللذين يندغمان معاً ، يصيران مسخاً مضاعفاً . وكذلك انصاف الحقائق إذا اجتمعت ، يتألف منها خطأ مركب ، هو اشد ايذاء ، وابلغ ضرراً ، من الخطأ البسيط . .

ولست انسب هذا « الخلل » النفسي في جمهرة اللبنانيين ، إلى التعصب بمفهومه الشائع والمنكر ،

بقدر ما انسبه إلى ذلك النقص الذي ينشأ دائماً عن غلبة الروح الذاتي في تفكير الفرد والجماعة . اعني : « الذاتية » المضادة لما يسمونه « الموضوعية » وهي في ابسط مظاهرها ، أن يتكلف الفرد او الجماعة ، مؤنة الانتقال آناً بعد آن ، إلى الجهة المقابلة ، إلى الجهات المقابلة ، حيث يتخيَّل احدنا « ذاته » في « وضع » الآخر . وتلك لعمري طريق المعرفة والتعارف والمعروف ، وسواها من المشتقات — الرغبة لانها تنفي اسباب الشقاق ، او على الأقل ، تكسر من حدتها . وان هذه « التنقلات » التي ندعو اليها ، ليست خطِرة ولا « مكلفة » ، فنتوسل في الترويج لها ، بما تتوسل به شركات التسفير . .

«لبنان في عهد جديد !. » ذلك ما يقوله كل منا ، أو يحسّه . وهو قول أو احساس يدلان على واقع الحال ، إلى مدى بعيد . فالشعب اللبناني يمارس اليوم ، في «ذات» حكومته الشرعية ، شطراً كبيراً من خصائص سيادته القومية التي ظل محروماً منها خلال قرون ، حتى ليمكن القول ان تسلمنا المصالح المشتركة مع حق الادارة والتشريع ، يُعدُّ باكورة ذلك الاستقلال الذي طالما تاقت اليه نفوسنا ، واستهدفته جهودنا . وقد تكون البواكير اشهى ثمار الشجرة العزيزة التي تُروّى بعرق الجبين ودم الفؤاد ، لكن لا جدال ايضاً في انها ليست كل الموسم .. ان ما ينتظرنا يقظة لا يغفل لها طرف ، ودأب لا

تعثر به قدم .

على ان الحدث اللبناني لم يكن وحده الجديد في الدنيا . وقد قلنا منذ البداية ، ان استقلال لبنان ليس في الواقع سوى حلقة من حلقات ، في سلسلة تنتظم اجزاء الكون القريبة والبعيدة ، او مظهر من مظاهر متصلة متشابهة يتجلى فيها ذلك « الجديد » الشامل الذي يتمخض به النظـام العالمي ، ويقاسي من جرائه آلاماً كآلام الوضع ، وإنه من هذه الحرب لفي احدى ازماته الحادة الحاسمة . وقد اثبتت محنة لبنـان الاخيرة ان بلادنا ما كانت ، ولن تكون ، في نجوة من تلك الآلام ، او بالاقل من « انعكاسها ». نريد ان نخلص إلى هذه الحقيقة البسيطة وهي انه لم يبق في وسعنا ، إذا نحن فكرنا في وطننا وفي شؤونه الحاضرة والمقبلة ، ان نفكر لبنانياً ولا عربياً ،

حتى ولا شرقياً وحسب . فلا مندوحة لنا ايضاً عن ان نفكر دولياً وعالمياً وانسانياً .. اننا ككل شعب من شعوب الدنيا ، لفي مأتم الحرية وفي عرسها على السواء .

وإذا لم يكن الحدث اللبناني وحده بالشيء الجديد في الدنيا ، فكذلك ليس تسلمنا المصالح المشتركة وحدها بالشيء الجديد في لبنان . نحب ان نعتقد اننا قد تسلمنا مع تلك المصالح ، روحاً جديداً هو « الروح اللبناني » الذي كان متنازعاً فاصطلح ، ومتوزعاً فاجتمع ، ومتغايراً فائتلف . لقد تجلى هذا الروح اللبناني الجديد في إرادة اللبنانيين جميعاً ، على اختلاف طوائفهم واجناسهم ، ان يعيشوا معاً ، ابناء شعب واحد حر ، في وطن واحد سعيد . وإنّا لنرجو ان يتجلى هذا الروح كل ساعة ، ولكل

مناسبة ، في جهود اللبنانيين المتوافرة ، المتضافرة ، المتناصرة ، لحفظ كيانهم الوطني ، وانماء مرافقه ، وتعزيز كرامته : ان هذا الروح اللبناني المشترك لفي رأس مصالحنا المشتركة .

لقد اتى على لبنان زمن وهو يتخبط في حيرته ، ولا يفتأ يبحث جاداً عن ذاته ، تارة مشرقاً وتارة مغرباً . فوجد ذاته اخيراً ، لكن حيث يجب ان يجدها ، اعني : في لبنان . ولعمري انها لَلُقْيَةٌ لا ينبغي لنا ان نضيّعها ، فالله يعلم متى نجدها مرة ثانية ، إذا اضعناها هذه المرة . ان اللبنانيين يلتقون اليوم على الصعيد الذي يسمونه : الوطنية او القومية . فكأني بهم اخوان تلاقوا بعد تغرّب طويل ، محفوف بالمخاطر والاهوال ، فطفقوا يحيي بعضهم بعضاً ، ويتباشرون بسلامة العودة ، ثم يتعاهدون

جميعاً على ان لا يبرحوا ذلك الصعيد الطيب ، مخافة ان يتورطوا في شبهات التخوم التي تقيمها الفوارق من جنس ومذهب ودين . قلت ذات يوم ، ان في لبنان بين المذهب والمذهب ، وبين الجنس والجنس ، من الحدود والحواجز ، ما يحتاج معه إلى جوازات سفر ، كأننا شعوب في شعب ، واوطان في وطن .. نحن لسنا في حاجة إلى ما يفرق ويقطع ، فما أكثر هذا عندنا ، بل إلى ما يؤلف ويجمع . ان ذلك الروح اللبناني الذي يتجلى في إرادة اللبنانيين ، على اختلاف طوائفهم واجناسهم ، أن يعيشوا معاً ، ابناء شعب واحد حر ، في وطن واحد سعيد — ان ذلك الروح الجديد ليؤلف ويجمع . بل ليس إلاّه يؤلف ويجمع . فما اجدرنا إذاً بان نتعهده بالصون والرعاية ، وان نغذيه بالعقول والافئدة ، حتى ينمو ،

ويبلغ اشدَّه ، فلا تُخشى عليه عوادي الزمان .

ان لبنان حديث عهد بالاستقلال : هذا ما يقوله التاريخ القريب . وهو كذلك حديث عهد بالروح الجديد الذي خلق اللبنانيين امة ، وبلادهم وطناً : هذا ما تنطق به خبرة كل واحد منا ، في قرارة نفسه . فاي جهود نبذلها ، وأي عزائم نضاعفها ، فلا توازي في كفة الميزان ذلك الروح الجديد الذي لا استقلال بدونه ، إذ لا وطن ولا امة بدونه .

الروح الجديد ! لقد اكثرت من الكلام على هذا « الجديد » حتى مللته . يجب ان يصبح هذا الجديد الطريف في لبنان ، قديماً او كالقديم ، تليداً او كالتليد ، وكأنه تراث آباء لنا صالحين .

استدراك

سقط حرف الجر « في » من آخر السطر الثاني في الصفحة ٧٧ .

وسقطت « ال » من السطر الاخير في الصفحة ١٠٩ .

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطابع الكشاف

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٥ .


12405132
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0112405132
BUTLER STACKS

